الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة

وزارة التعليـــم العالـــــي و البحـــــث العلمـــــي

جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف-

كلية: الآداب واللغات الأجنبية. قسم:اللغة والأدب العربي.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستير بعنوان:

الانعطاف اللساني من النحو التوليدي إلى النحو العرفاني

الشعبة: أدب عربي تخصص : لسانيات تطبيقية.

من إعداد الطالبتين:

- أمينة قاسمي
- خديجة بوغرارو

تحت إشراف الأستاذ:

- عبد اللطيف عطروش

أمام لجنة مناقشة مكونة من:

الاسم	اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
صلاح الدين	رويبي	أ.م.أ	الطارف	رئيسا
عبد اللطيف	عطروش	أ.م.ب	الطارف	مشرفا ومقررا
فتيحة	بن علجية	أ.م.ب	الطارف	مناقشا

السّنـــــة الجامعيّـــــة: 2025 / 2026 م

بسم الله الرحمن الرحيم

دُعَـــاء

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعَلَا أَنْ تَيَسِّرَ لِي أَمْرَ حَيَاتِي ،

وَتُفْتَح عَلَيَّ أَبْوَابِ رِزْقِكَ وَتَجْعَلَ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ أَمْرٍ دُعَاءً مُسْتَجَابًا.

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ التَّوْفِيق وَالسَّدَاد.

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ عَيْشًا قَارًّا وَرِزْقًا مُبَارَكًا وَعَمَلًا صَالِحًا مُتَقَبَّلًا.

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُ قَوْلِي.

شُكْـــرٌ وَ تَقْدِيـــر

الحمد والشكر لله أولا وأخرا.

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه.

ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه.

ونشهد أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

نحمد الله عز و جل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي، والذي ألهمنا الصحة والعافية والعزيمة لإتمام هذا البحث المتواضع.

أتقدم بجزيل الشكر:

- إلى من شرفنا بإشرافه الدكتور "عبد اللّطيف عطروش" على كل ما قدمته لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة.
- لكل من ساهم في إنارة دربنا بشموع العلم المضيئة،السادة: المدير العام، و عميد الكلية و رئيس قسم اللغة العربية و آدابها .
- إلى كل أساتذتنا الأفاضل الّذين شجعونا على الاستمرار في مسيرة العلم والنجاح.
- كما نتوجّه بجزيل الشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز وإتمام هذا العمل.

مقدمـــــــة

مقدّمـــــــــــــة:

ترتبط دراسة الفكر البشري ارتباطا وثيقا بآليّات التّعبير عنه؛ فمنذ أن انفتحت العلوم الحديثة على اكتشاف ماهيّة العقل البشري وطبيعة اشتغاله، ظلّت اللّغة هي الأداة الأقوى والشّاهد الأبرز على كيفيّة تشكّل الوعي وتخزين المعارف، من هنا سعت المناهج العلميّة المختلفة إلى تفكيك الظّاهرة اللّغويّة وإعادة بنائها لا بوصفها مجرّد أصوات وتراكيب، بل باعتبارها مرآة تعكس طبيعة الإدراك والتّفكير البشري في أبعاده المختلفة.

وفي سياق هذا المسعى المعرفي المتواصل، شهد البحث اللّساني الحديث منذ مطلع القرن العشرين جملة من التّحوّلات الإبستمولوجيّة المتسارعة، المحكومة بضرورات التّجديد والتّجاوز. وقد استهلّت اللّسانيّات البنيويّة مع دي سوسير هذا المسار بجعل اللّغة نظاما صوريّا مغلقا يُدرس في ذاته ولذاته، بمعزل عن الذّات المتكلّمة وعن السّياق الخارجي المحيط بها. وعلى الرّغم من الإنجازات الّتي حقّقتها هذه المدرسة على صعيد الوصف والتّصنيف، فإنّها اصطدمت بحدود معرفيّة تجلّت في عجزها عن تفسير الظّاهرة اللّغويّة وإبداعيّتها، وقد ظلّ الدّرس اللّساني في مجمله محكوما بما يمكن تسميّته "لسانيّات اللّسان"؛ أي الاشتغال بالنّظام اللّغويّ الداخليّ دون الإلتفات إلى الإنسان النّاطق به.

وقد مهد هذا التّعثّر البنيويّ الطّريق لانبثاق اللّسانيّات التّوليديّة مع نعوم تشومسكي، الّتي أحدثت نقلة نوعيّة بتحويل مراكز الاهتمام من النّص الظاهري إلى الذّهن البشريّ، بافتراض وجود ملكة لغويّة فطريّة مستقلّة تولد القواعد والتّراكيب. وبهذا الانتقال، تجاوزت اللّسانيّات عتبة اللّسان لتبلغ عتبة "لسانيّات الإنسان"؛ أي الإشتغال بقدرة اللّغة الكامنة في الذّات البشريّة.

غير أنّ النظريّة التّوليديّة, على الرّغم من انفتاحها على الذّهن البشري، إلا أنّها آثرت إغراق البحث في الصّوريّة الرّياضيّة، بتعاملها مع الإنسان المتكلم كآلة حاسبة تعالج رموزا مجرّدة، متجاهلة تجربته الجسديّة الحسيّة وإدراكه للعالم، بفصلها اللّغة عن التّجربة الإنسانيّة.

وكنتيجة حتميّة لنقد هذا التّجريد الصارم، شهد الدّرس اللّساني في أواخر سبعينيّات القرن العشرين منعطفا حاسما بظهور اللّسانيّات العرفانيّة. وقد تبلور هذا الاتجاه الجديد على يد رواد بارزين من أمثال جورج لايكوف ورولاند لانغاكر، الّذين اعادوا ربط الظّاهرة اللّغويّة بالقدرات الإدراكيّة العامة للإنسان (كالذّاكرة والانتباه)، وفق أطروحة اللّسانيّات التجسيديّة الّتي ترى النّحو انعكاسا لتفاعل الجسد والحواس مع المحيط، لتعلن بذلك الانتقال من "لسانيّات الإنسان" إلى "لسانيّات الذّهن".

من هذا السّياق المعرفي المتشعب، وفي ضوء ما كشفته مراحل التّحول اللّساني المتعاقبة في نظرتها للغة–من نظام مغلق مكتف بذاته، إلى ملكة فطريّة كامنة في الإنسان، إلى بنيّة إدراكيّة متجذّرة في التّجربة الجسديّة والذّهنيّة–جاء اختيار هذا الموضوع الموسوم بـ" الانعطاف اللّسانيّ من النّحو التّوليديّ إلى النّحو العرفانيّ".

تتضافر في سيّاق هذا البحث حزمة من الدّوافع الذّاتيّة والموضوعيّة الّتي جعلت من اختيار هذا الموضوع ضرورة علميّة؛ فمن المنظور الذّاتيّ يحضر الفضول العلميّ والشّغف المعرفيّ كقوة دفع أساسيّة لسبر أغوار اللّسانيّات المعرفيّة، ومواكبة حركيّتها المتجدّدة الّتي تشكل سلسلة معرفيّة متصلة وحلقات تطور لا تتوقف، ما يمنح هذا البحث اللّساني حيويّته ويجعل الاشتغال به ضربا من ضروب المغامرة الفكريّة الّتي لا تنتهي. فضلا عن ذلك هذا الموضوع فرصة للوقوف على إحدى أخصب نقاط التّجديد في الفكر اللّسانيّ المعاصر، وهي نقطة التّحوّل من نحو يجرّد اللّغة عن صاحبها إلى نحو يعيدها إلى حضن الإنسان المدرك والمجرب.

ويتكامل هذا الشّغف الذّاتي مع دواعٍ موضوعيّة لاتقلّ أهميّة؛ إذ أنّ الدّراسات اللّسانيّة بطبيعتها سلسلة متواصلة الحلقات، كلّ حلقة منها تجيب عن أسئلة سابقة وتفتح في الآن ذاته أسئلة لاحقة، ممّا يستوجب الوقوف عند مفاصلها الكبرى، ولعلّ أجلى هذه الدّواعي وأشدّها إلحاحا حاجة اللّسانيّات العربيّة المعاصرة إلى تمثّل هذه المقاربات الحديثة وسدّ النّقص المشهود في مكتبتها؛ فاللّغة العربيّة بما تزخر به من ثراء تركيبي ودلالي و بما تحمله من خصوصيّة ادراكية ثقافيّة عميقة، جديرة بأن تعاد قراءة بنياتها وفهم ظواهرها في ضوء ما أتاحته اللّسانيّات العرفانيّة من أدوات تحليليّة تتجاوز القراءات الشّكليّة الصّارمة، وتربط اللّغة بالمنظومة الإدراكيّة والذّهنيّة للإنسان.

وتتجلى أهميّة هذا الموضوع في كونه يندرج ضمن التّحوّل المعرفي الّذي شهدته اللّسانيّات الحديثة والّذي نلخّصه فيما يلي:

- ✓ إبراز التّحوّل المعرفي في اللّسانيّات المعاصرة من التّركيز على البنيّة الصّوريّة المجرّدة إلى الاهتمام بالبعد الدّلاليّ والإدراكيّ للّغة.
- ✓ الكشف عن حدود النّحو التّوليديّ في تفسير المعنى اللّغويّ، وبيان إسهام النّحو العرفانيّ في تجاوز المقاربات الشّكليّة الصرفيّة.
- ✓ توضيح العلاقة بين اللّغة والذّهن والتّجربة الإنسانيّة بوصفها أساسا نظريا في النّحو العرفانيّ.
- ✓ الإسهام في تعميق فهم الظّاهرة اللّغويّة باعتبارها نشاطا معرفيا وثقافيا، لامجرد نظام قواعدي مستقل.
- ✓ اختبار فاعليّة المقاربة العرفانيّة في تحليل التراكيب والدّلالات اللّغويّة مقارنة بالمناهج التّوليديّة.
- ✓ إبراز أهميّة اللغّة العربيّة كمجال تطبيقي غنيّ يسمح بدراسة الانعطاف اللّسانيّ لما تتّسم به من ثراء تركيبيّ ودلاليّ.
- ✓ فتح آفاق بحثيّة جديدة في الدّراسات اللّسانيّة العربيّة المعاصرة من خلال الربط بين اللّسانيّات والعلوم المعرفيّة.
- ✓ الإسهام في تطوير الدّرس اللّسانيّ العربي، والانتقال به من الوصف الشّكلي إلى التّحليل الإدراكيّ الوظيفيّ.

ومن هنا تتبلور إشكاليّة البحث الرّئيسيّة في السّؤال الآتي:

إلى أيّ مدى تتقاطع النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة والنّحو العرفانيّ في تفسير الملكة اللّغويّة الإنسانيّة وآليّات اشتغالها الذّهنيّ، وفيما تختلفان في منطلقاتهما المعرفيّة ومفاهيمهما الإجرائيّة؟

وتتفرع عن هذه الإشكاليّة الرّئيسيّة جملة من التّساؤلات الفرعيّة الّتي ترشد مسار البحث وتحدّد آفاقه:

1. ما المفاهيم النّظريّة الأساسيّة الّتي تقوم عليها النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، وأي شيء هي الجملة والكلام والملفوظ ؟

2. ما هي الرّوافد الفلسفيّة والعلميّة الّتي أسهمت في بناء النّحو التّوليديّ، وكيف وظّفها تشومسكي في صياغة نظريّته؟

3. كيف تطوّرت النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة عبر مراحلها المتعاقبة، وماأبرز التّحوّلات الّتي طرأت على موضوعها ومنهجها وجهازها المفاهيمي؟

4. ما المبادئ الأساسيّة الّتي تقوم عليها اللّسانيّات العرفانيّة، وكيف تتمايز عن اللّسانيّات الشكليّة في تصوّرها للغة والذّهن؟

5. كيف يعالج النّحو العرفانيّ مسألة المعنى والبنيّة اللّغويّة من خلال مفاهيم التّصوير والإنبناء التّصوّري والفضاءات الذّهنيّة؟

6. ما طبيعة الأبنيّة النّحويّة في المنظور العرفانيّ، وكيف تتجلّى العلاقة بين الوحدة الرّمزيّة والخطاطة البنائيّة في تفسير التّركيب اللّغويّ؟

ولتفكيك اشكاليّة هذا البحث تمّ اعتماد المنهج الوصفي التّحليلي أساسا، بوصفه الأداة الأنسب لتأصيل المفاهيم وتفكيك المرتكزات النّظريّة لكل من النّحو التّوليدي والنّحو العرفانيّ. وانضاف إلى ذلك المنهج المقارن الّذي اقتضته طبيعة الدّراسة القائمة على الموازنه بين نظريتين لسانيتين تتقاطعان في بعض الإشكاليّات وتتباينان في المنطلقات والآليّات، ممّا أتاح رصد أوجه التّشابه والإختلاف بينهما على مستوى الموضوع والمنهج والجهاز المفاهيمي. كما استعين بالمنهج التّاريخيّ لتتبّع مراحل تطور النّظريّة التّوليديّة ورصد جذورها الفلسفيّة، فضلا عن استجلاء نشأة اللّسانيّات العرفانيّة وسياقها المعرفي. ولم يكن بد من توظيف المنهج الاستنباطيّ في استخلاص النّتائج الكليّة من خلال التّحليل الدّقيق للنّصوص النّظريّة والانطلاق من المبادئ الفلسفيّة الكبرى إلى تجلياتها اللّسانيّة. وهكذا جاء تضافر هذه المناهج استجابة موضوعيّة لمتطلبات البحث.

لقد انعكس هذا المنهج المركب بشكل مباشر على بناء البحث وتصميمه الهيكلي حيث قسم إلى فصلين. خصّص الفصل الأوّل للنّحو التّوليديّ التّحويليّ وتوزّعت مادته العلميّة على خمسة عناصر على النحو التّالي:

أوّلا: النّحو التّوليدي (مفاهيم نظريّة).

ثانيا: مدخل إلى أصول النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.

ثالثا: مظاهر التّحوّلات في اللّسانيّات التّوليديّة.

رابعا: مرتكزات النّحو التّوليدي.

خامسا: مراحل تطوّر النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.

ليأتي الفصل الثّاني مسلّطا الضوء على النّحو العرفانيّ امتدادا وتجاوزا، وقد هندس بدوره إلى أربعة عناصر متوازيّة كالآتي:

أوّلا: مدخل مفهومي للعرفانيّة برصد علاقة اللّسانيّات بالعلوم الإدراكيّة وعلم النّفس المعرفي.

ثانيا: مفارقات النّحو العرفاني والنّحو العام مبرزا طبيعة النّحو الذّهنيّ وجدليّة اللّغة والذّهن.

ثالثا: هندسة النّحو كبنيّة تصورية وثالوث خوارزمي.

رابعا: التّحوّلات في المفاهيم والأبنيّة النّحويّة.

خامسا: أوجه التّشابه والاختلاف ومستوى القطيعة بين هذين النظريتين اللسانيتين.

وقد استند هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع ولعلّ أبرزها:

- مغني اللّبيب في كتب الأعاريب لابن هشام
- البنى النّحويّة لنعوم تشومسكي.
- اللّسانيّات التّوليديّة من النّموذج قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي–مفاهيم وأمثلة–لمصطفى غلفان.
- كتاب نظريات لسانية عرفانية للأزهر الزناد.
- مدخل إلى النّحو العرفانيّ لعبد الجبار بن غريبة.

ولم يخلو مسار هذا البحث من جملة صعوبات تنوّعت بين موضوعيّة وذاتيّة، وقد كان لكلّ منهما أثرها في تشكيل مسار العمل وتوجيه خطواته:

فعلى صعيد الصعوبات الموضوعيّة، برز التّداخل المعرفي وتشعب الرّوافد العلميّة عائقا أمام الإحاطة الشّاملة بالموضوع؛ إذ تنتسب اللّسانيّات العرفانيّة إلى مظلّة"العلوم المعرفيّة"الجامعة، مما اقتضى الانفتاح على حقول معرفيّة متعدّدة ومتشابكة كعلم النّفس المعرفيّ وعلوم الأعصاب والفلسفة العقلانيّة، وقد استلزم ذلك جهدا مضاعفا في استيعاب هذه الرّوافد وضبطها لسانيّا. يضاف إلى ذلك إشكاليّة المصطلح العرفانيّ المُترجم إلى العربيّة، حيث تتعدّد التّرجمات بتعدّد المترجمين، مما أفضى إلى اضطراب مفاهيميّ يستوجب التّدقيق والتّمحيص. فضلا عن ذلك، فإنّ تتبّع مسار الانعطاف اللّسانيّ من الصّوريّة التّشومسكيّة إلى التّجريبيّة الذّهنيّة عند لايكوف و لانغاكر استلزم فحصا دقيقا لنصوص نظريّة بالغة التّعقيد، تتشابك فيها المستوايّات التّحليليّة وتتداخل المرجعيّات الفلسفيّة.

أمّا على صعيد الصعوبات الذّاتيّة، فقد تمثّلت أبرزها في حداثة الموضوع وقلة الخبرة السّابقة في معالجة النّظرّيات اللّسانيّة العرفانيّة الحديثة، مما استلزم قضاء وقت مطوّل في القراءة الفاحصة وتفكيك المتون النّظريّة المعقدة زاد من حدّة هذه الصعوبة شُح المراجع العربيّة المتخصّصة في هذا الحقل، إلى جانب ضيق الحيّز الزّمنيّ المخصّص لإنجاز البحث قياسا بحجم الإشكاليّة الّتي تتناول تحوّلا لسانيا كاملا بين مدرستين كبيرتيّن.

غير أنّ الرّغبة العلميّة الصّادقة في سبر أغوار هذا التّحوّل اللّسانيّ، والاستنارة بالتّوجيهات القيّمة للأستاذ المشرف، قد أسهمتا في تذليل هذه العقبات وتحويلها من عوائق تعترض المسير إلى حوافز معرفيّة دفعت البحث نحو الاكتمال والرّصانة.

وفي ختام هذه المقدّمة، وبعد أن استعرضنا أبرز ما واجهنا من صعوبات وعقبات أحاطت بمسار هذا البحث من كلّ جانب، يطيب لنا أن نتوقّف وقفة وفاء وامتنانا، مصدقا لقوله صلى الله عليه وسلم:{من لايشكر النّاس لايشكرُ الله}؛ إذ لايستقيم لبحث أنْ ينسب إلى صاحبه وحده، وهو في حقيقته وليد جهود متضافرة وعطاءات متنوّعة. فأوّل الشّكر وأجلّه لله عزّ وجلّ الّذي أعاننا وسدّد خطانا ومنحنا القدرة على إتمام هذا العمل، ثم يسعدنا أن نتقدّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذنا المشرف الفاضل الدكتور "**عبد اللّطيف عطروش**" الّذي لم يبخل علينا بتوجيهاته العلميّة القيّمة ونصائحه المنهجيّة السّديدة وملاحظاته الدّقيقة، فكان نعم الموجه والمعين في أحلك لحظات البحث وأشدّها وعورة، فله منا خالص التّقدير ووافر الإحترام. كما نتوجّه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام، الدكتور "**صلاح الدّين رويبي**" الذّي تشرّفنا برئاسته للجنة، والدكتورة "**فتيحة بن علجيّة**" الّتي تفضّلت بقبول مناقشة هذا العمل وتقييمه، فإسهامهما العلميّ شرف يضاف إلى مسيرتنا ومنارة تضيء مآخذنا وتُعلي من قيمة هذا البحث. ولايفوتنا أن نعرب عن امتناننا العميق لأسرتينا الكريمتين اللّتين كانتا السّند الدافئ والمعين الّذي لاينضب، فبدعائهم ودعمهم المتواصل تيسّرت الصعاب. ونُقدّم شكرنا الخالص إلى كلّ من مدّ لنا يد العون وأسهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، سواء أكان ذلك بكلمة تشجيع أم بتوجيه نافع أم بمساعدة متواضعة، فكل ذلك كان له الأثر في دفع مسيرة البحث نحو اكتماله، وخير مانسدل به ستار هذه المقدّمة قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وحسبنا أنّنا بذلنا ما في الوسع و أخلصنا النيّة، فالكمال لله وحده والاجتهاد غاية المجتهد، والله وليّ التّوفيق.

الفصل الأوّل:

اللّسانيّات التّوليديّة التحويليّة

الفصل الأول:اللسانيات التوليدية التحويلية .

أوّلا: النحو التوليدي (مفاهيم نظرية).

1. الجملة
2. الكلام
3. الملفوظ

ثانيا: مدخل إلى أصول النظرية التوليدية التحويلية.

ثالثا: مظاهر التحولات في اللسانيات التوليدية.

1. في الموضوع.
2. المنهج.
3. الجهاز المفاهيمي (المصطلح).

رابعا: مرتكزات النّحو التّوليدي

1. الروافد الفلسفية(الفلسفة العقلانية).
   1.1. أفلاطون.
   2.1. رونيه ديكارت.
   3.1. مدرسة بور روايال.
2. الروافد العلمية (مفاهيم عامة).
3. جذور النّظريّة التوليديّة التّحويلية في التراث العربي.

خامسا:مراحل تطور النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.

أوّلا: النحو التوليدي (مفاهيم نظرية)

1- الجملة

1.2-الدلالة اللغوية:

تشتق كلمة الجملة في اللغة العربية من الجذر(ج م ل) الذي يدل على الجمع والاجتماع.

فقد ورد في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس في باب الجيم والميم وما يثالثهما أن: "الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمع وعظم الخلق، والآخر حسن. فالأول قولك أجمعت الشيء، وهذه جملة الشيء. وأجملته: حصلته"[1].

كما جاء في لسان العرب لابن منظور في فصل الجيم أن: "الجملة:واحدة الجمل .والجملة :جماعة الشيء. وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة؛ وأجمل له الحساب كذلك. والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. يقال: أجملت له الحساب والكلام"[2].

وعليه فإن الدلالة اللغوية لكلمة جملة تدور حول معنى الجمع والضم، أي اجتماع أجزاء الشيء في كل واحد دون تفصيل.

2.2-الجملة اصطلاحا:

لم يكن مصطلح الجملة معروفا بشكل واضح في بدايات النحو العربي القديم، ومع ذلك فقد ظهرت ملامحها بشكل غير مباشر عند العلماء الأوائل.

عرض سيبويه في باب المسند والمسند إليه لمفهوم الجملة بقوله: "هما مالا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك: وهذا أخوك. ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء"[3]. أي أن الفعل لايمكن أن يكون وحده دون فاعل ولا المبتدأ يكتمل دون خبر. فالجملة هي التركيب الذي يشمل ركنيين أساسيين هما المسند والمسند إليه اللّذين تربطهما علاقة الإسناد وبدونهما لا تنعقد الجملة.

ونجد مجموعة من النحاة بعد سيبويه ساروا على نهجه ونذكر منهم:

أبو العباس المبرد الذي ذكر في كتابه المقتضب، "وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب"[4]. فالمقياس الحقيقي للجملة هو"يحسن السكوت". بمعنى أن الجملة ليست مجرد ضم كلمات، بل هي التركيب الذي يمنح للمستمع معلومة كاملة تجعله يكتفي بها ولاينتظر تكملة. فالفعل والفاعل عند المبرد هما جملة لأنهما يحققان الفائدة المطلوبة للمخاطب.

---

(1)- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج1، 1979م، ص 481.

(2) - ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، المجلد11، ص128.

(3) - سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط3، ج1، 1988م، ص23.

(4) - المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة-مصر، ط1، ج1، 1994م، ص 146.

وعند "ابن هشام"« الجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ"قام زيد" والمبتدأ والخبر كـ"زيد قائم"، وما كان بمنزلة أحدهما نحو (ضرب اللص) و (أقائم الزيدان) و (كان زيد قائما) و (ظننته قائما)»[1].

لقد شهد مفهوم الجملة في الدراسات اللسانية المعاصرة تحولات جوهرية وأبعاداً تحليلية متباينة؛ تبعاً لاختلاف المنطلقات النظرية والمناهج المتبعة، وقد عالج التيار البنيوي السلوكي-بزعامة"بلومفيلد" وتلميذه "هاريس"مفهوم الجملة من خلال التحليل البنيوي: « يبدأ بالجسم الأكبر ثم يندرج إلى أسفل منها بالمكونات الصغرى التي لاتقبل التقسيم أوالتحليل ماأخذ عليه عدم تفرقته في تحليله الجملي بين الجملة المبنية للمجهول، والجملة المبنية للمعلوم، فتحليلها في نهاية المطاف تحليل واحد»[2]. وهذا مايؤكد انحياز المنهج البنيوي للظواهر الشكلية، مقابل تهميش الدور الجوهري الذي يؤديه المعنى.

ولقد وجه "تشومسكي" انتقادات حادة للتحليل البنيوي السلوكي، مبينا عجزه عن التمييز بين الجمل الصحيحة والغير صحيحة من حيث العلاقة بين المبنى والمعنى.

بناء على ذلك، وضع "تشوسكي"حدا فاصلا بين نوعين من الجمل: الجمل النحوية(الجمل الأصولية) وهي "الجمل المبنية على نحو جيد موافق لقواعد اللغة القائمة ضمن الكفاءة اللغوية لمتكلم اللغة، أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم، والتي يطبقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية حين ينتج جملة"[3]، وفي المقابل نجد الجمل غير النحوية (غير الأصولية) وهي جملا منحرفة عن هذه القواعد التي تحدد أصولية الجملة ونحويتها. وبذلك أصبح هدف النحو التوليدي هو تفسير تلك القواعد الضمنية التي تمنح الجملة صبغتها الأصولية.

2- الكلام:

1.2- الدلالة اللغوية:

ورد في كتاب (العين) أن الكلام: "كلم: الكلم: الجرح، والجمع: الكلوم.كلمته أكلمه كلما، وأنا كالم،{وهو مكلوم}، أي جرحته. وكليمك: الذي يكلمك وتكلمه. والكلمة: لغة حجازية، و الكلمة: تميمية، والجميع: الكلم والكلم"[4].

وجاء في (معجم مقاييس اللغة) في باب (الكاف واللام وما يثلثهما): "كلم: الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مفهم، والآخر على جراح. فالأول الكلام، تقول: كلمته أكلمه تكليما، وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته، ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة،... والأصل الآخر الكلم، وهو الجرح"[5].

فالكلام في المعاجم العربية يجمع بين التعبير باللسان وبين قوة التأثير أي الاثر الذي يشبه أثر الجرح.

---

(1) – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ج1، 1991م، ص 431.

(2) – إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة ، الأردن ط2، 2007م، ص83.

(3) – نعيمة السعدية، الجملة في الدراسات اللسانية، مجلة كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر-بسكرة، العدد 9، جوان 2011م، ص17.

(4) – الخليل بن أحمد الفراهدي، العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1،ج4، 2003م، ص 45.

(5) – ابن فارس، مرجع سابق، ص 131.

2.2- الكلام اصطلاحا:

مصطلح الكلام عند "ابن فارس" يعني "ما سمع وفهم وذلك قولنا: قام زيد وذهب عمرو. وقال قوم: الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى. والقولان عندنا متقاربان، لان المسموع المفهوم لايكاد يكون إلا بحروف مؤلفة تدل على معنى"[1]. أي أن الكلام هو كل صوت مؤلف من حروف مرتبة يؤدي إلى معنى مفهوم يربط بين المتكلم و السامع.

ويعرفه "الزمخشري"بأنه: "المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر، وتسمى الجملة"[2]. هنا يشترك "الزمخشري" التركيب المقترن بالاسناد، الذي يحيل إلى ميلاد الجملة.

أما "ابن جني" فالكلام عنده "كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك وصه، ومه، وروويد، وحاء، وعاء في الأصوات، وحسّ، ولبّ، وأفّ، وأوّه. فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[3].

يشترط "ابن جني" ثلاث صفات للكلام، أن يكون غير معقد في تركيبه الأولي ومستقل بنفسه لايحتاج لما قبله ليفهم ومفيد لمعناه، فإذا ماتوافرت هذه الشروط الثلاثة صار التركيب جملة.

ويركز "ابن هشام" على الفائدة والقصدية في تعريفه للكلام بقوله: "هو القول المفيد بالقصد. والمراد بالمفيد: مادل على معنى يحسن السكوت عليه"[4].

من خلال ماسبق نجد أن الكلام لابد أن يكون مفيدا فائدة تامة يحسن السكوت عليها من المتكلم والسامع أيضا.

3- علاقة الجملة بالكلام:

يمكن تلخيص علاقة الجملة بالكلام في اتجاهين رئيسيين في التراث النحوي العربي.

1.3- الاتجاه الأول:

وحد أصحابه بين المفهومين (الجملة والكلام)، كسيبويه، وابن جني، والزمخشري، وابن يعيش،وعبد القاهر الجرجاني...وغيرهم. فقد عرف ابن جني الكلام بأنه "كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[5]، ويذهب الزمخشري إلى القول بالترادف بين مصطلحي الجملة والكلام، قائلا:"الكلام هو المركب من كلمتين أسندت احداهما للأخرى ...،ويسمى جملة"[6].

---

(1) – ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1997م، ص47.

(2) – الزمخشري، المفصل في علم اللغة، تح: فخر صالح قدارة، دار عمار، عمان– الأردن، ط1، 2004م، ص 32.

(3) – ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، ص 17.

(4) – ابن هشام، مرجع سابق، ص 431.

(5) – ابن جني، مرجع سابق، ص 17.

(6) – الزمخشري، مرجع سابق، ص32.

وأيده في هذا شارح كتابه –ابن يعيش– قائلا: "أعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة"[1].

ولم يخرج عبد القاهر الجرجاني عن هذا إذ تأثر بمن سبقه، فيقول: "الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منهما اثنان فأفادا نحو: خرج زيد سمي كلاما، وسمي جملة"[2].

اما عند المحدثين نجد عباس حسن" يدافع عن هذا الرأي، حيث ذكر في عنوان التعريف: "الكلام (أو: الجملة) هو: ماتركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل مثل: أقبل ضيف. فاز طالب نبيه. لن يهمل عاقل واجبا...فلابد في الكلام من أمرين؛ هما: (التركيب) و (الإفادة المستقلة)"[3].

هذا الاتجاه يميل إلى الواقعية اللغوية؛ فهو يرى اللغة وسيلة تواصل (كلام) عبر قوالب تركيبية (جمل) ويرفض الفصل التعسفي بين الشكل (الجملة) والمضمون (الكلام) مدامت النتيجة واحدة وهي الإفهام.

2.3– الاتجاه الثاني:

يرفض أصحاب هذا الاتجاه ترادف المصطلحين، فالجملة عندهم أوسع دلالة في مفهومها من مفهوم الكلام،كونها المركب الاسنادي سواء أفاد معنى يحسن السكوت عليه أم لم يفد، وبذلك لاتجب في الجملة مايجب في الكلام من الفائدة التامة، هذا ما نص صراحة عليه الرضي الذي يقول: "والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أولا، كالجملة التي خبر المبتدأ وسائر ماذكر من الجمل، فيخرج المصدر، واسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه. والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته؛ فكل كلام جملة ولاينعكس"[4] ودعم هذا المذهب ابن هشام حيث فرق بينهما وأعد الجملة أعم من الكلام "إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب،جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام"[5].

ومن المحدثين الذين يؤيدون هذا الاتجاه. الجملة أعم وأشمل من الكلام . إبراهيم أنيس الذي يعرف الجملة بقوله: "إن (الجملة) في أقصر صورها هي أقل قدرا من الكلام يفيد السامع معنى مستقل بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"[6]. ويعرفها مهدي المخزومي: "هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات...ويقول: هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه"[7].

---

[1] – ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ج1، 2001م، ص72.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تح:علي حيدر، منشورات دار الحكمة، دمشق–سورية، دط، 1972 م، ص40.

[3] –عباس حسن، النحو الوافي، مطابع دار المعارف، مصر، ط3، 1974م، ص15.

[4] – يوسف حسن عمر، شرح الرضي على الكافية، منشورات قان يونس، بنغازي–ليبيا، ط2، ج1، 1996م، ص33.

[5] – ابن هشام، مرجع سابق، ص 431.

[6] –ابراهيم انيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة–مصر، ط6، 1978م، ص277/276.

[7] – مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، ط2، 1986م، ص33/31.

ويقول عبد الرحمان أيوب: "ليست الجملة مجرد مجموعة من الكلمات بل هي إلى جانب هذا عدد من النماذج التركيبية المتداخلة ففي الجملة الواحدة مثل(هل قال؟) نموذج لتركيب الكلمات هو(أداة استفهام+فعل ماضي) ونموذج للنغم هو(نغم متوسط+نغم مرتفع هابط) ونموذج للنبر وهو(نبر خفيف+نبر شديد)...الخ. وتطبيق هذا العدد من النماذج المجتمعة بالإضافة إلى النطق بالكلمات هو ما يكون الجملة الواقعية التي تفيد فائدة يحسن السكوت عليها"[1].

هذه التعاريف، على اختلاف زواياها، قد أسهمت في توضيح الفرق بين الجملة والكلام؛ فإبراهيم أنيس ومهدي المخزومي يحدد الجملة بوصفها وحدة بنيوية ودلالية صغرى قد تتحقق فيها الإفادة، لكنها تظل في إطار الإمكان النظري أوالصيغة المجردة. أما عبد الرحمان أيوب فينقلها إلى مستوى الاستعمال، حيث لاتصبح الجملة (كلاما) إلا إذا تجسدت فعليا عبر النطق مصحوبا بعناصره الصوتية من نبر ونغم، محققة فائدة تامة يحسن السكوت عليها.

وبذلك يمكن القول إن الجملة بناء لغوي قابل للتحقق، في حين أن الكلام هو هذا البناء حين يدخل حيز الاستعمال الفعلي ويؤدي وظيفة تواصلية مكتملة.

4- الملفوظ:

1.4- الدلالة اللغوية:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس في باب (اللام والفاء وما يثلثهما): "لفظ:اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء؛ وغالب ذلك أن يكون من الفم. تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا. ولفظت الشيء من فمي...وهو شيء ملفوظ"[2].

جاء في شرح نظم الأجرومية في باب الكلام[3]. اللفظ هو: "الطرح والرمي. يقال: أكلت التمرة ولفظت نواها بمعنى طرحتها ورميتها"[4].

---

[1] – عبد الرحمان محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص126.

[2] – ابن فارس، مرجع سابق، ص 259.

[3] – أحمد بن عمر الحازمي، فتح ربّ البرية في شرح نظم الأجرومية، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 2010م، ص21.

قال أبن آب في باب الكلام :

إنّ الكلام عندنا فلتستمع لفظ مركب مفيد قد وضع

أقسامه التي عليها يبنى اسم وفعل ثم حرف معنى

[4]-أحمد بن عمر الحازمي، المرجع نفسه، ص31.

2.4- الملفوظ اصطلاحا:

اللفظ "عند النحاة إنه الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية التي أولها الألف وآخرها الياء مهملا كان أومستعملا قوله: (الصوت)اللفظ لابد أن يكون صوتا، فإذا لم يكن صوتا لايقال إنه لفظ. إذاً أُخذ الصوت جنسا في حدّ اللفظ، وعليه فكل لفظ صوت ولا عكس"[1].

أما مصطلح التلفظ (énonciation) ظهر مع اللساني الفرنسي بنفنيست في كتابه مسائل اللسانيات العامة إنّه يقابل مفهوم الاستعمال عند سوسير والأداء عند تشومسكي، أمّا مفهوم الجملة عند بنفنيست فهو مخالف تماما لما سبق الإشارة إليه، فهي مجال اللسان بوصفه نظاما للعلامات، وندخل في عالم آخر؛ هو اللسان بوصفه أداة للتواصل، حيث التعبير هو الخطاب، والجملة أصغر وحدة في الخطاب.. واللسان كما وضّح سوسير هو كل العلاقات التي تربط الحقيقة النفسية والحقيقة الصوتية، ومهما يكن من أمر فإنّ اللسان يحتوي بطريقة مركّبة تعيينات تخص عمل القول "وتفترض لسانيات التلفّظ أنّ مجموعة من الأشكال النحوية ومن مفردات المعجم ومن الصيغ ومن التراكيب، سمتها الاعتيادية أنّنا باستعمالها ننشئ أو نُسهم في بناء علاقات مخصوصة بين المتخاطبين، وإذا كان من الممكن مجددا اعتبار اللسان سَننا، فإنّ ذلك ليس معنى أنّ السَّنَنَ يصلح لتسجيل محتويات الفكر، ولكن في معنى أنّنا نتحدّث عن سَنَن التأدُب، باعتباره قائمة من السلوكات الاجتماعية"[2].

وبخلاف هاريس الذي يقف عند حدود بنية الملفوظ، نجد بنفنيست يقيم تعارضا بين كل من التلفظ والملفوظ. فالأول هو"الفعل الذاتي في استعمال اللغة: إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما، مقابل الملفوظ (énoncé) باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته. وهكذا يتيح التلفظ دراسة الكلام من مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة. ويرى بنفنيست أن التلفظ هو موضوع الدراسة وليس الملفوظ"[3].

ففعل التلفظ، عنصر من عناصر اللغة التي تشكل ماهية الخطاب. لذا نجد بنفنيست يقدم تعريفا لهذا الأخير باعتباره:"كل تلفظ يفترض باثا ومتلقيا، وفي نية الأول التأثير في الآخر بطريقة ما". انطلاقا من هذا التعريف، يميز بنفنيست بين مستويين مختلفين للتلفظ هما: الخطاب (discours) والحكي (récit) "أن نقول إنّ متتالية لسانية ينتجها باث تشكّل تلفظا، يعني أن نقول أولاً إنّ هذا الملفوظ يقدّم نفسه-وهو ينتجها-على أنّ هدفه هو أن يقول ما هو مقول فيها"[4].

---

[1] – أحمد بن عمر الحازمي، المرجع نفسه، ص31.

[2] – صابر الحباشة، لسانيات الخطاب، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سورية، ط1، 2010م، ص24.

[3] – صابرحباشة، المرجع نفسه، ص 25.

[4] – صابر حباشة، المرجع نفسه، ص 25.

ثانيا: مدخل إلى أصول النظرية التوليدية التحويلية:

شكلت النظرية التوليدية التحويلية التي أرساها اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي عام 1957م بصدور كتابه المرجعي"البنى النحوية"انعطافا جذريا في مسار اللسانيات الحديثة، فقد حول البحث اللغوي من مجرد توصيف السلوكيات اللفظية الظاهرة والعادات الصوتية المكتسبة–كما كان سائدا في المدرسة البنيوية والسلوكية– إلى تفسير الآليات الذهنية الكامنة وراء انتاج اللغة.

وبموجب هذا المنظور المعرفي، أصبحت اللغة تُعرف بوصفها"ملكة ذهنية فطرية" تُمكّن العقل البشري من توليد فيض غير متناهٍ من البنى الجملية باستخدام نظام محدود من القواعد والعناصر.

وقد استند "تشومسكي" في صياغة هذا المفهوم إلى رؤية نسقية دقيقة حيث قال موضحاً طبيعة هذا النظام اللساني: "سأعتبر منذ الآن اللغة مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل، كل جملة محدودة في طولها، قد أُنشئت من مجموعة محدودة من العناصر، فجميع اللغات الطبيعية في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم، طالما أن كل لغة طبيعية لها عدد محدود من الفونيمات (الوحدات الصوتية) (أو الحروف الألف باء). ويمكن أن تمثل كل جملة بمتوالية محدودة من الفونيمات (أو الحروف) مع وجود عدد كبير غير محدود من الجمل"[1].

تعكس مقولة "تشومسكي" تصوراً علمياً للغة باعتبارها نظاماً منتهي الوسائل (العناصر والقواعد) ولا متناهي النتائج (الجمل)، يقوم على التوليد والتركيب، ويتميز بقدرته على إنتاج عدد غير محدود من التراكيب، انطلاقاً من موارد محدودة.

كما يرى أن هذا النظام ليس حكراً على لغة دون غيرها، فالعقل البشري مبرمج بيولوجياً على هذا "القالب" سواء كنت تتحدث العربية أو الصينية، فإن عقلك يستخدم نفس الآلية: (أصوات محدودة + قواعد تركيبية = جمل لا حصر لها) وهذا التّحوّل الجذري نحو "ذهنيّة اللّغة" يعكس مفهوم "الانعطاف اللّساني".

فالانعطاف لغة هو: "تغَيُّر وتحوُّل مفاجئ يترتب عليه آثار مهمة"[2]، واللِّسان "نظام مجرّد من القواعد و العلامات اللّغويّة، ذهنيّ واجتماعيّ، مستقلٌ عن الفرد و سابق عليه، يُكتسب بالاستخدام، ويُمكِّن من التّواصلِ داخل الجماعة اللّغويّة"[3] وبذلك، يعني الإنعطاف اللّسانيّ اصطلاحا بأنّه ذلك التّحوّل المنهجي الّذي نقل البحث من دراسة اللّغات كبنى شكليّة خارجيّة، إلى دراستها كملكة ونشاط ذهنيّ؛ بدأ مع التّوليديّة كبرمجة بيولوجيّة فطريّة في العقل، وتطوّر مع العرفانيّة ليرتبط بالإدراك و التّجربة البشريّة الحيّة.

---

(1) – نعوم تشومسكي، البنى النحوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد–العراق، ط1، 1987م، ص17.

(2)– معجم الدّوحة التّاريخي للغة العربيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السيّاسات، مادة(ع ط ف)،
https://www.dohadictionary.org/dictionary

(3) – معجم الدّوحة التّاريخي للغة العربيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السيّاسات، مادة (ل س ن)،
https://www.dohadictionary.org/root

ثالثا: مظاهر التحولات في اللسانيات التوليدية:

تُعدُّ اللسانيات الحديثة نتاج تحولين إبستمولوجيين بارزين، فبينما أرست بنيوية "دي سوسير" دعائم الثورة المعرفية الأولى بنقلها اللغة من حيز الوصف التاريخي إلى حيّز النسق المنضبط، جاءت النظرية التوليدية لـ"نعوم تشومسكي" لتُحدث ثورة ثانية قلبت موازين البحث اللساني. ويمكن رصد مظاهر هذا التحول الجذري والرؤية الجديدة للظاهرة اللغوية من خلال الموضوع والمنهج والجهاز المفاهيمي (المصطلح).

1- الموضوع:

من المسلمات المنهجية في تأسيس أي علم أن يُحدَّد موضوعه تحديداً دقيقاً وواضحاً، إذ يُعدُّ هذا التحديد شرطاً أساسياً لقيام المعرفة العلمية. وفي هذا الإطار استقر الرأي على أن موضوع اللسانيات هو "اللغة"، غير أن هذا التحديد لم يكن واضحاً على الدوام عبر تاريخ البحث اللغوي. فقد شغلت اللغة اهتمام الإنسان منذ القدم، إلّا أن هذا الاهتمام لم يكن موجّهاً لدراستها في ذاتها، بل كانت تُتناول في سياق تحقيق غايات أخرى، كالأغراض الفلسفية والدينية والاجتماعية والمنطقية وغيرها. ففي التراث اللغوي العربي على سبيل المثال، دُرست اللغة أساساً لبيان مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، من خلال مستوياتها الصوتية والصرفية والبلاغية وغيرها، لا بوصفها موضوعاً مستقلاً قائماً بذاته.

غير أن هذا الوضع قد شهد تحولاً جذرياً مع "دي سوسير" الذي أرسى تصوراً جديداً للسانيات بوصفها الدراسة العلمية للغة، وتقتضي هذه العلمية تحديد موضوع الدراسة بدقة، مع ضبط حدوده ومجاله، إذ لا يمكن لأي علم أن يكتسب طابعه العلمي ما لم يكن له موضوع محدد. ومن هذا المنطلق حدّد "دي سوسير" موضوع اللسانيات حيث يقول: "إن موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها »[1].كما ميز بين ثلاثة مفاهيم أساسية: اللسان (Le Langage) واللغة (La Langue) والكلام (La parole) فاللسان يدل على «النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين: اللغة والكلام"[2].

واللّغة هي: " مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين [3]" أمّا الكلام فهو:"فعل كلامي ملموس ، ونشاط شخصي مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد وكتاباتهم"[4].

---

[1] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون– الجزائر، ط2، 2005م، ص122.

[2] – أحمد مؤمن، المرجع نفسه، ص 123.

[3] – أحمد مؤمن، المرجع نفسه، ص 123.

[4] – احمد مؤمن، المرجع نفسه، ص 123.

فقد اختار "دي سوسير" الجانب الاجتماعي موضوعاً للدراسة على اعتبار تميزه بالثبوت النسبي قياساً إلى سرعة تغير الجانب الفردي من اللغة؛ أي الكلام.

وقد ظل هذا التحديد لموضوع اللسانيات هو المهيمن على الدراسات اللسانية البنيوية إلى أن جاء "تشومسكي " الذي قام بتحديد موضوع اللسانيات بشكل جديد حيث انتقل موضوع النظرية الألسنية من دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية عامة إلى دراسة قدرات المتكلم والمستمع المثالي. يقول تشومسكي في هذا الخصوص "إنّ النّظرية اللّسانية تُعنى في المقام الأول بمتكلم–مستمع مثالي في مجتمع لغوي متجانس تماماً"[1]. هذا الشخص لابد أن يعرف لغة ذلك المجتمع معرفة كاملة ولا يتأثر بالظروف غير اللغوية (كضعف الذاكرة، التشتت، أو الأخطاء العفوية) عند تطبيق معرفته في الأداء الفعلي.

هكذا أحدث "تشومسكي" قطيعة مع المفاهيم التقليدية وميز بين جانبين لغويين أساسيين"معرفة المتكلم–المستمع المثالي والأداء اللغوي الفعلي، وألحّ خاصة على الجانب الأول، وهذا ما فصّل فيه القول تحت هذين المصطلحين: الكفاءة والأداء"[2].

فمصطلح "الكفاءة" و"الأداء" يرتبطان بمفهومي "اللغة" و"الكلام" اللّذين استخدمهما "دي سوسير"، ولكن "تشومسكي" رفض فكرة "دي سوسير" بأن "اللغة كتلة من المادة، أو قائمة من المفردات التي يُنتقى منها الشخص الكلام، وذهب إلى التمييز بين الكفاءة التي تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد، أي مجموعة القواعد التي تعلمها، والأداء وهو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية"[3].

وفي هذا الإطار وسع "تشومسكي" أفق البحث اللساني ليتجاوز الوصف إلى التفسير، وذلك بالبحث في الجهاز الذهني المنتج للغة، و نقده للاتجاه السلوكي الذي كان سائداً في اللسانيات الأمريكية، والذي اختزل اللغة في سلوك قائم على المثير والاستجابة، متجاهلاً دور البنى العقلية، فالمذهب السلوكي يعتبر "أنّ اللغة كناية عن مجموعة عادات صوتية تتكيف بمثيرات البيئة، فمتعلم اللغة، في تقدير المذهب السلوكي، يستمع إلى جملة معينة أو يشعر بدافع معين تستثار فيه استجابة كلامية من دون أن تربط هذه الاستجابة بأي شكل من أشكال التفكير، بل ترتبط فقط بالمثيرات التي تحركها فلا تتطلب بالتالي تدخل الأفكار الذهنية أو القواعد النحوية"[4]. وهو ما دفع "تشومسكي" لنقد هذا التصور وإبراز الطابع العقلي للغة، إذ يرى أن خصوصية الإنسان لا تكمن في قدرته على التفكير فحسب، بل في امتلاكه قدرة لغوية فطرية تمكنه من إنتاج اللغة واستعمالها استعمالاً خلاقاً.

---

(1) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص 210.

(2) – أحمدمؤمن، المرجع نفسه، ص ن.

(3) – أحمد مؤمن، المرجع نفسه، ص ن.

(4) – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط2، 1986م، ص26.

ومن هنا فقد أحدث"تشومسكي" تحولاً نوعياً في تحديد موضوع اللسانيات، إذ لم يعد مقتصراً على ملاحظة الظواهر اللغوية ووصفها كما كان الحال في اللسانيات الوصفية المتأثرة بتصور "دي سوسير"، بل أصبح موجهاً نحو تفسير هذه الظواهر من خلال البحث في الجهاز الذهني المسؤول عن إنتاج اللغة. وهكذا انتقل الدرس اللّساني من مستوى الوصف الخارجي إلى مستوى التفسير الداخلي المرتبط بالبنية العقلية، وبذلك غدا موضوع اللسانيات عنده يتمثل في وصف القدرة اللغوية لدى المتكلم وتفسيرها، انطلاقاً من اعتبارها قدرة فطرية مميزة للإنسان، تتيح له توليد عدد لامتناهٍ من الجمل وفهمها، ومن ثم مهد هذا التحول لظهور جملة من التحولات المفاهيمية والمنهجية التي شكلت أساس النظرية التوليدية الحديثة.

2- المنهج:

إذا كانت اللسانيات تَروم المشترك اللغوي علمياً، فإن العلمية تقتضي اعتماد منهج واضح المعالم والأهداف، فهو أحد دعائم البحث العلمي، إذ يعتمد عليه الباحث في دراسة الظواهر وتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً، فاختيار المنهج المناسب يساعد تنظيم الأفكار وضبط خطوات البحث، كما يساهم في الوصول إلى نتائج صحيحة وموضوعية. وعلى أساس المنهج وخلفيته المعرفية، اختلفت النظريات اللسانية، ويمكن توضيح ذلك من خلال النظريتين البنيوية والتوليدية.

يُعدّ المنهج الوصفي من المناهج الأساسية المعتمدة في الدراسات اللسانية، حيث يقوم على استقراء المعطيات اللغوية وملاحظتها ملاحظة علمية دقيقة، قصد الكشف عن العلاقات الرابطة بينها، وتصنيفها وفق معايير محددة. وقد تأسست منطلقات اللسانيات الوصفية المنهجية على أساس الاستقراء والتجريب، بوصفهما آليتين أساسيتين في استنباط القوانين المنظمة للظواهر اللغوية "والوصف في اللسانيات البنيوية عموماً ليس سوى إعادة تنظيم المعطيات اللغوية المتوافرة بشكل مختصر، بحسب معايير وصفية تهدف في نهاية الأمر إلى إعادة ترتيب ما هو موجود فعلاً ضمن المعطيات المحصل عليها[1]"

من خلال ما سبق يتضح أن الوصف في اللسانيات البنيوية له أهمية بالغة، بوصفه إجراءً منهجياً يتجاوز الطابع الإحصائي أو التجميعي للمعطيات اللغوية، ليتخذ بعداً تحليلياً يهدف إلى الكشف عن البنية الداخلية للنسق اللغوي، فالوصف وفق هذا التصور لا يعد غاية في حد ذاته، بل مرحلة تأسيسية يمكّن الباحث من مستوى رصد الظواهر إلى مستوى تحليل العلاقات التي تنظم عناصر اللغة.

تعتمد اللسانيات الوصفية عند "سوسير" على أدوات ميدانية مثل الملاحظة والاستبيان لجمع البيانات بدقة وموضوعية، بعيداً عن أي آراء شخصية. وتستمد هذه الطريقة قوتها من الفلسفة التجريبية، التي تؤمن بأن عقل الإنسان يولد (ورقة بيضاء) وأن اللغة لا تولد معنا، بل نكتسبها من خلال التجربة والممارسة الواقعية فقط.

---

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي(مفاهيم و أمثلة)، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن ، ط1، 2010م، ص16.

في المقابل، جاءت المدرسة التوليدية التحويلية لتقلب موازين البحث اللساني، محولة إياه من منهج وصفي إلى منهج نظري تفسيري، يستند إلى النزعة الذهنية والعقلانية. فاللغة هنا ليست مجرد ركام من العادات الآلية، بل هي عملية إبداعية حيوية تنبع من قدرة المتكلم على توليد عدد لامتناهٍ من الجمل التي لم يسمعها من قبل.

وهكذا يكون"تشومسكي" قد انتقل من المنهج الوصفي-الحسي التجريبي-إلى المنهج التفسيري-العقلي الاستنباطي- والمقصود بالتفسير هنا ليس النظر في البنيات اللغوية بل تفسير ما يقع في الذهن البشري، انطلاقاً من افتراضات عقلية.

ويمكن الاستدلال على ذلك بما ذهب إليه الدكتور"عزمي موسى اسلام" إذ يرى أن العلم يهدف إلى "تفسير الظواهر المختلفة-سواء من حيث نشأتها أو اطرادها أو تغيرها-وذلك من خلال معرفة القوانين العامة التي تحكمها، الأمر الذي يجعل في مستطاع العالم أن يتنبأ أو يتوقع حدوث أو اطراد أو تغيير ظواهر مشابهة لما عرفه من قبل ن لو توفرت لها نفس الظروف والشروط"[1]. فالهدف الجوهري للعلم؛ الانتقال من مجرد "الوصف" إلى "التفسير والتعميم"، مما يحول المعرفة من ملاحظات مشتتة إلى قوانين قادرة على إخضاع المستقبل لسيطرة العقل عبر التنبؤ.

والعالم في تفسير الظواهر"لايكون تفسيره مقصورا على تلك الظواهر بعينها فقط، انما يأتي تفسيره عاما، بحيث ينطبق على تلك الظواهر وعلى غيرها من الظواهر المماثلة. بمعنى ان العالم يستطيع-بناء على هذه التعميمات التي ينتهي اليها-أن يتنبأ بأن الظواهر المقبلة سوف تأتي على غرار الظواهر التي عرفها من قبل. وهكذا فالتعميم في التفسير هو الذي يسمح لنا بالتنبؤ في العلم"[2].

وعليه تم الانتقال من الاهتمام باللغة إلى الاهتمام بالنحو، فالنحو عند تشومسكي ليس ذلك المفهوم التقليدي بل هو التركيب مقابل المعنى:"نحو لغة معينة هو إذن مجموعة محدودة من القواعد التي تربط الصوت بالمعنى، وتمكن المتكلم في هذه اللغة من تكوين الجمل النحوية ولا شيء غير الجمل النحوية، والتي يمكن مقارنتها ومطابقتها بما هو موجود في الاستعمال ويتم التأكد من هذه المطابقة بالرجوع لحدس (Intuition) المتكلم، وليس بالاستناد للمتن اللغوي المشكل من مجموع الأقوال المنتجة فعلاً في لغة معينة"[3].

ومن خلال هذا المنهج التفسيري الاستنباطي أصبح بالإمكان فهم الظواهر اللغوية والتنبؤ بها أيضاً في ضوء قواعد عامة، مما يعكس الطابع العلمي العميق لهذا الاتجاه، ويؤكد ارتباط اللغة بالقدرات العقلية الفطرية للإنسان.

3- الجهاز المفاهيمي (المصطلح)

شهدت اللسانيات التوليدية تحولاً بارزاً على مستوى الجهاز المفاهيمي-المصطلح-حيث لم يعد المصطلح مجرد أداة تسمية أو توصيف، بل غدا عنصراً مركزياً في بناء المعرفة اللسانية وضبط مفاهيمها. وفي هذا الإطار،

---

[1] – عزمي موسى اسلام، مفهوم التفسير في العلم، حوليات كلية الآدابن الحولية 4، 1982م، ص 14.

[2] –عزمي موسى اسلام، نفس المرجع، ص14.

[3] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص31.

تتأكد أهمية المصطلح باعتباره مدخلاً أساسياً لكل علم. إذ لا يمكن الإحاطة بأي حقل معرفي دون استيعاب نسقه الاصطلاحي. قال عبد السلام المسدي:"فإذا استبان خطر المصطلح في كل فنٍ توضّح أن السّجل الاصطلاحي هو الكشف المفهوميّ الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، فهو له كالسياج العقلي الذي يرسي حرماته رادعا إيَّاهُ أن يلابس غيره، وحاظراً غيره أن يلتبس به"[1]. أي أن الجهاز الاصطلاحي لا يؤدي وظيفة لغوية فقط، بل يقوم بدور معرفي تنظيمي يحدد هوية العلم ويمنع تداخل مفاهيمه مع غيره من الحقول المعرفية، مما يجعل المصطلح بمثابة إطار ضابط للمعرفة العلمية وحدودها.

ومن أبرز مظاهر هذا التحول، قيام اللسانيات التوليدية ببناء معجم اصطلاحي خاص بها، ارتبط بأعمال تشومسكي، حيث استُحدثت مفاهيم دقيقة نذكر منها: النحو، التوليد، التحويل، اللغة، الكفاءة اللغوية و الأداء الكلامي، البنية العميقة والبنية السطحية، المتكلم/المستمع المثالي، نموذج النواة و نموذج المعيار، التركيب وغيرها.

ولم تكن هذه المصطلحات مجرد تسميات جديدة، بل جاءت محمّلة برؤية نظرية تسعى إلى تفسير اللغة في بعدها الذهني. وقد تعزز هذا الاتجاه منذ صدور كتاب "البنى التركيبية" سنة 1957م لتشومسكي، حيث لم يعد التحليل اللساني يقف عند حدود البنية السطحية، بل اتجه نحو استكشاف البنية العميقة، أي نحو فهم الملكة اللغوية التي تُمكِّن المتكلم من الإنتاج والمستمع من الفهم، ويظهر هذا التحول بوضوح في:

1.3- مفهوم النحو التوليدي:

إن النحو التوليدي عند تشومسكي ليس تحليلاً للجملة في بنيتها التركيبية فحسب، بل هو تحليلها الشامل في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية وكذا فهمها وتفسيرها، وقد حمل مصطلح النحو عنده معنيين هما:

1.4- من النحو إلى النظرية:

1.1.1.3 المعنى العام:

حيث يقصد بالنحو عموما "مجموع القواعد اللغوية الموجودة في ذهن المتكلم. يقول تشومسكي:إنّ نحو لغة معينة هو آلية تقوم بتعداد جمل هذه اللغة بكيفية يكون الوصف البنيوي مشتقاً آلياً بالنسبة إلى كل جمل معددة...إنّ النحو هو المعرفة اللغوية التي يمتلكها ضمنيا كل فرد متكلم تمكنه من الربط بين الصوت والمعنى. فالنحو بهذا المعنى هو حصيلة جميع القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية عند متكلم لغة معينة...إن النحو هو المعرفة اللغوية الضمنية المشتركة بين المتكلم والسامع ولاتقتصر على إحداهما دون الآخر"[2].

2.1.1.3 المعنى الخاص:

يُستعمل مفهوم النحو أو لفظ النحو"قاصداً به النظرية التي يسعى اللساني إلى بنائها، والقادرة على وصف الملكة اللغوية عند المتكلم بلسان معين وتوضيحها. والهدف الأساس للنحو بوصفه نظرية، هو القدرة على وصف القواعد التي يتوافر عليها المتكلم ومعالجتها بكيفية صورية تمكن من إبراز خصائصها وسماتها وكيفية بنائها.وبعبارة

---

[1] – عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، دط، دت، ص11.

[2] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص29/28.

أدق، فإن هدف النحو(النظرية) عند تشومسكي هو بناء نموذج صوري (Modèle Formel)بإمكانه أن يأخذ بعين الاعتبار القواعد التي تجعل إنتاج وتأويل الجمل النحوية، ولا شيء غير الجمل النحوية، أمراً ممكنا"[1]

يهدف النحو، بمعناه الخاص، إلى تفسير القدرة الإبداعية في اللغة عند الإنسان؛ إذ يستطيع المتكلم أن يُنتج ويفهم عدداً غير محدود من الجمل، اعتماداً على مجموعة محدودة من القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية. كما يسعى إلى تقديم وصف يوضح كيف تُبنى الجمل وكيف تُفهم من طرف المتكلم أو المستمع. فهو نظام من القواعد يُمكّن من توليد وفهم عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة، ويقتصر اهتمامه على الجمل النحوية فقط.

وفي الحالتين معاً، فإن النحو التوليدي"ليس نموذجاً للمعرفة اللغوية عند المتكلم وحده أو عند السامع، إنه يسعى إلى أن يحدد بكيفية محايدة سمات المعرفة باللغة التي تعتبر المنطلق لوضع نماذج لغوية فعلية لكلام المتكلم والسامع "[2]

ولا يخرج تعريف النحو عند تشومسكي ما بين (1957)و(1965) عن هذين المعنيين. قد نلاحظ تغييراً في بعض التعابير التي تختلف هنا أو هناك بهذه الكيفية أو تلك، لكن جوهر التعريف يظل هو نفسه.

2.4- النحو وحدس المتكلم:

يُعرّف نحو لغة ما بأنّه "مجموعة محدودة من القواعد التي تربط الصوت بالمعنى؛ وتُمكن المتكلم في هذه اللغة من تكوين الجمل النحوية ولا شيء غير الجمل النحوية"[3].

غير أن الإشكال المنهجي الذي يطرحه هذا التصور يتمثل في تحديد المعيار الذي يسمح بالتحقق من مطابقة هذه الجمل لقواعد اللغة. وفي هذا السياق يرفض تشومسكي الاعتماد على المتن اللغوي بوصفه مصدراً للحكم، ويقترح بديلاً يتمثل في حدس المتكلم. فالمرجع الأساس عنده في الحكم على نحوِيّة الجمل هو الحدس اللغوي حيث يرى بأنّ المعيار الذي يُحتكم إليه هو "حدس(Intuition) المتكلم ، وليس بالاستناد للمتن اللغوي المشكل من مجموع الأقوال المنتجة فعلا في لغة معينة"[4]. وقد عرّف ميشال زكريا هذا المفهوم بقوله:"وتعني كلمة الحدس اللغوي العائد إلى متكلم اللغة في ظل النظرية التوليدية والتحويلية، قدرته على الحكم بأصولية الجمل بصورة بديهية"[5]. يكشف هذا التعريف عن طبيعة الحدس باعتباره معرفة ضمنية كامنة في ذهن المتكلم، تتيح له التمييز الفوري بين الصحيح وغير الصحيح دون حاجة إلى تحليل واعٍ أو استناد إلى معطيات خارجية. وانطلاقاً من هذا التصور، يحصر تشومسكي موضوع الدراسة اللسانية في المتكلم–المستمع المثالي، باعتباره حامل الكفاءة

---

[1] – مصطفى غلفان، المرجع نفسه، ص29.

[2] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص30.

[3] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص31.

[4] – مصطفى غلفان، المرجع نفسه، ص31

[5] – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية–النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط2، 1986م، ص97.

اللغوية، فالمتكلم وفق هذا المنظور يمتلك معرفة ضمنية متناهية بلغته، تُمكّنه من إدراك العلاقات البنيوية بين الجمل، ومن ثم إصدار أحكام دقيقة بشأن درجات نحويتها.

"ولا تقف وظيفة الحدس في النحو التوليدي عند التمييز بين ما هو نحوي (grammaticale) وما هو غير نحوي (agrammaticale)بل إن لحدس المتكلم وظائف لغوية أخرى هامة جداً. فهو يستطيع أن يبين لنا أن الجمل النحوية ليس لها الدرجة نفسها في سلم النحوية (Degré de grammaticalité)، والمقصود بذلك أن هناك سلمية في نحوية الجمل. إن كل متكلم في اللغة العربية يكون قادراً على ترتيب درجة نحوية مجموعة من الجمل بالقياس للنحوية المثلى أو المعيار"[1].

2.3- التّوليد و التّحويل:

تعد النظرية التوليدية التحويلية الانعطافة الأبرز في اللسانيات الحديثة، حيث نقلت بؤرة الاهتمام من مجرد وصف المدونات اللغوية الجاهزة إلى دراسة الملكة الذهنية للمتكلم. ويقوم هذا المشروع اللساني على ثنائية إجرائية تجمع بين التوليد والتحويل:

1.2.3- التوليد:

يُمثل التوليد أحد المرتكزات الجوهرية التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية؛ إذ يُشير في جوهره إلى "الجانب الإبداعي في اللّغة أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناهٍ من الجمل في لغته الأم"[2].

يمكن حصر مفهوم التوليد في كونه "انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب، من جملة هي الأصل. وتسمى الجملة الأصل بالجملة التوليدية"[3]. و من أبرز خصائص هذه الجملة التوليدية:

- ✓ تحقيق الإفادة التامة بأقل قدر ممكن من الوحدات المعجمية.
- ✓ خلوّها التام من أي عمليات تحويلية (تقديم، تأخير، حذف إلخ)

مثال تطبيقي :

تُعدّ جملة (جاء زيدٌ) جملة توليدية أصيلة؛ لكونها تلتزم بالترتيب البنيوي الأساسي (فعل + فاعل)، بينما تخرج جملة (زيدٌ جاء) عن هذا النطاق لتصبح جملة (محولة)؛ نظراً لما طرأ عليها من تغيير في الرتبة الأصلية.

2.2.3- التحويل:

يعرّف التحويل بأنّه:"عملية تغيير تركيب لغوي إلى آخر بتطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر مثل تحويل الجملة من إخبارية إلى إنشائية أو استفهامية، أو نقل جملة من مثبتة إلى منفية"[4]. فعملية التحويل عبارة عن

---

(1) – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص33.

(2) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص206.

(3) – شريف استيتة، المجال والوظيفة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005م، ص178.

(4) – مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت–لبنان، ط1، 1995م، ص292.

إعادة تشكيل للبنى اللغوية الأساسية عبر قواعد نسقية، تشمل الحذف، و الزيادة، والتقديم والتأخير...إلخ. تهدف هذه العملية إلى نقل الجملة من صورتها الذهنية المجردة (البنية العميقة) إلى صياغة منطوقة وملموسة (البنية السطحية)، مما يؤدي إلى توليد دلالات ومعان جديدة.

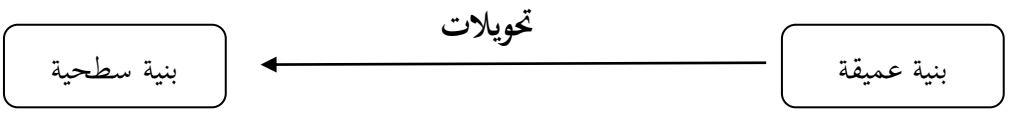

وقد ميّز تشومسكي بين الجملة الأساسية وتسمى الجملة النواة والجملة المشتقة التي أطلق عليها الجمل المحولة:

– **الجملة النواة:** فتشومسكي "وصف الجملة النواة بأنها بسيطة، وتامة، وصريحة، وإيجابية، ومبنية للمعلوم"[1].

– **الجملة المحولة:** "تنقصها خاصة من خواص الجملة النواة، وتكون إما استفهاما، أو أمرا، أو نفيا، أو معطوفة، أو متبعة، أو مدمجة"[2].

مثال تطبيقي:

"(فَهِمَ زَيْدُ الدَّرْسَ) {الجملة النواة} هذه الجملة مثبتة مبنية للمعلوم، وعند تحويلها إلى جملة مبني فعلها للمجهول تصبح (فُهِمُ الدَّرْسُ) ويكون التحويل قد حدث على النحو الآتي:

– فعل+ مورفيم البناء للمعلوم+ اسم+ اسم= فَهِمَ زَيْدُ الدَّرْسَ.

– فعل+ مورفيم البناء للمجهول+ اسم= فُهِمُ الدَّرْسُ "[3].

3.3– الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:

تبرز ثنائية الكفاية اللغوية والأداء الكلامي بوصفهما من المفاهيم المحورية في النظرية اللسانية التوليدية عند تشومسكي، حيث تقوم على التمييز بين المعرفة الضمنية الكامنة في ذهن المتكلم بقواعد لغته وبين تجسيد هذه المعرفة في الاستعمال الفعلي ضمن مختلف السياقات التواصلية.

1.3.3– مفهوم الكفاية اللغوية:

تُعد الكفاية اللغوية مفهوماً محورياً في اللسانيات التوليدية، وتشير إلى القدرة التي يمتلكها المتكلم/المستمع المثالي والتي تجعله قادرا على إنتاج عدد غير محدود من الجمل وفهمها، فضلاً عن قدرته على التمييز بين التراكيب

(1) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص207.

(2) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص207.

(3) – شريف استيتة، مرجع سابق، ص179.

النحوية السليمة وغير السليمة. وقد صاغ هذا المفهوم تشومسكي حين أطلق عليه مصطلح الكفاية اللغوية (Compétence)، مؤكداً أنه يشير "إلى قدرة المتكلم/المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته"[1].

فاللغة ليست مجرد مجموعة من الجمل المحفوظة بل هي نظام من القواعد الكامنة في الذهن يتيح للمتكلم توليد تراكيب جديدة وفهمها في سياقات مختلفة ويستند هذا التصور إلى مبدأ أساسي مفاده أن كل متكلم بلغة معينة يمتلك صورة ذهنية نظاماً من القواعد التي تنظم العلاقة بين البنية الصوتية للجملة ومحتواها الدلالي. وبذلك فإن المعنى الذي تحمله الجمل ليس اعتباطياً بل تحدده القواعد النحوية التي تضبط تركيبها.

ويوضح تشومسكي ذلك في قوله:"فمن الواضح جداً أن للجمل معنى خاصاً تحدده القاعدة اللغوية، وأن كل من يمتلك لغة معينة قد اكتسب في ذاته وبصورة ما، تنظيم قواعد تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص. فهذا الإنسان قد طوّر في ذاته ما نسميه بالكفاية اللغوية الخاصة"[2].

2.3.3- مفهوم الأداء الكلامي (الإنجاز):

يقابل مفهوم الأداء الكلامي (الإنجاز) عند تشومسكي مصطلح الكلام (Parole) عند دي سوسير، إذ يقصد به "الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية"[3]. غير أن هذا الاستعمال لا يعكس الكفاية اللغوية في صورتها الشمولية، بل يقتصر على جانب جزئي منها، أي ذلك الذي يتحقق في الفعل التواصلي.

وبناءً على ذلك، يمكن اعتبار الأداء الكلامي تفعيلاً جزئياً للكفاية اللغوية في الممارسة اليومية."من هذا المنطلق العملي نفهم بالذات، القواعد على أنها التنظيم المحرك لآلية التكلم والكامن ضمن الكفاية اللغوية. واحتكاماً إلى هذه الفرضية تكون الكفاية اللغوية بمنزلة امتلاك الآلية اللغوية بينما يكون الأداء الكلامي حصيلة عمل هذه الآلية، أو بمعنى آخر نتيجة العمل التواصلي في مجمله، أي الكلام الذي يتفوه به المتكلم ويسمعه المستمع فيفسره"[4]. يبرز من هذا القول أن الأداء هو التطبيق العملي للكفاية اللغوية، غير أنه لا يطابقها تماماً بسبب تأثير الظروف والسياق، مما يجعله متغيراً ومتعدداً.

وهكذا فإن فهم الأداء اللغوي الذي ينتجه المتكلم يُعد ضرورياً لتفسير الكفاية اللغوية بوصفها ملكة مثالية مشتركة بين المتكلم والمستمع، وهي معرفة ضمنية بالقواعد اللغوية مستقرة في الذهن البشري. ويقوم هذا الجهاز العقلي، رغم محدوديته، بإنتاج عدد غير محدود من الجمل وفهمها، مما يدل على طابعه الإبداعي.

ومن ثمّ، فإن الكفاية اللغوية والأداء الكلامي يشكلان معاً الأساس النظري المحوري في اللسانيات عند تشومسكي.

---

[1] – كريمة بن خيرة وأحمد قريش، المنهج اللساني عند نعوم تشومسكي، مجلة جسور المعرفة، المجلد 8، عدد 2، جوان2022م، ص240.

[2] – ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، مرجع سابق، ص63.

[3] – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص210.

[4] – ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، مرجع سابق، ص62.

4.3- البنية العميقة والبنية السطحية:

يرى هومبولت أنّ "اللغة هي عمل العقل، وهي الصوت المنطوق الذي نستطيع به أن نعبر عن الفكر...إن هناك شكلاً خارجياً آلياً وشكلاً داخلياً عضوياً...أما الأول، فيعبر عن الفكر. وأما الثاني، فيعبر عن شكلها الفيزيقي باعتبارها أصواتاً ملفوظة"[1]. هذه الأفكار بلورها تشومسكي تحت اسم البنية العميقة والبنية السطحية وقد وضع هذين المبدأين من أجل تيسير دراسة الجملة المنطوقة والمكتوبة وفهم دلالتهما.فكلاهما يشكل مفتاحا من مفاتيح اللسانيات التوليدية.

1.4.3- البنية العميقة:

هي"التركيب الباطني المجرد، الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة، إنها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي"[2].

إن البنية العميقة هي الأساس الذهني الذي ينطلق منه معنى الجملة، فهي موجودة في ذهن المتكلم قبل أن تتحول إلى كلام، ومن خلالها يتحدد التفسير الدلالي للجملة وهي "شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تُشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية"[3]. "ومن أهم ميزات البنية العميقة أنها موحدة ومشتركة بين جميع اللغات، يقول تشومسكي: إن البنية العميقة التي تحدد المعنى (...) مشتركة بين كل اللغات، وذلك لأنها ليست سوى إنعكاس لأشكال الفكر".

وتتميّز البنية العميقة بكونها:

- ✓ بنية مولّدة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجمية.
- ✓ البنية التي تمثل التفسير الدلالي للجملة.
- ✓ إنّها البنية التي يمكن لها أن تحوّل بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية"[4].

2.4.3- البنية السطحية:

تتمثل في "التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أو المكتوبة إنها التفسير الصوتي للجملة"[5]. وهي كذلك "الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز"[6].

تتميّز البنية السطحية بأنها تختلف من لغة إلى أخرى.

---

(1) – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 2004م، ص54.

(2) – شفيقة العلوي، المرجع نفسه، ص53/52.

(3) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص212.

(4) – مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، قسم الآداب و الفلسفة، العدد13، جانفي2015م، ص10/9.

(5) – شفيقة العلوي، مرجع سابق، ص53.

(6) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص212.

ترتبط البنية العميقة بالبنية السطحية بعلاقة تحويلية، إذ تنتقل المعاني من المستوى الذهني إلى المستوى اللغوي عبر قواعد النحو التحويلي.

وفي فكر التحويليين هاتان الجملتان (أَكَلَ خَالِدُ الخُبْزَ) و(أَكَلَ الخُبْزَ خَالِدُ) لا تختلفان إلا من الناحية التركيبية أي على مستوى البنية السطحية، ولكنهما مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً على مستوى البنية العميقة.

رابعا: مرتكزات النحو التوليدي :

لقد حظي النحو التوليدي باهتمام بحثي واستثنائي لم تحظي به اي نظرية لسانية اخرى ويعود ذلك الى الروافد الفكرية والعلمية الفريدة التي انبنى عليها، والتي تمثل الارض الخصبة التي مهدت لظهور النحو التوليدي؛ وهي روافد جديدة قياسا إلى "اللسانيات البنيوية الأمريكية التي ظهر النحو التوليدي في أحضانها (تتلمذ تشومسكي على يد هاريس)"[1]. مما يستدعي التمييز بين ماهو فلسفي وماهو علمي في أسس هذه النظرية الجديدة.

1_الروافد الفلسفية (الفلسفة العقلانية):

تعد الفلسفة أم العلوم فقد اعتمد عليها الانسان في فهم الظواهر المحيطة به، من خلال استخدام العقل الذي يجرد المعرفة من التجريد المادي وهذا مايعرف بالفلسفة العقلية، والمتتبع لمراحل تطور الفكر البشري عموماً، ومسار الدراسات اللغوية خصوصاً، يلاحظ تقاطع الافكار التشومسكية مع الافكار الفلسفية، خاصة في مسألة فطرية المعرفة اللغوية وبداهتها. وهذا ما يدل على أن للنظرية التشومسكية جذوراً فلسفية بحتة، ارتبطت بأفكار أفلاطون ورونيه ديكارت، لأن موضوعها هو العقل البشري، وما يحدث فيه من آليات وحقائق كامنة في الذهن. فهي نظرية تبحث في الظاهر والخفي معا، كذلك الفلسفة هي علم يبحث في ظاهر المعارف وخفياها.

1.1–أفلاطون:

تُعد الفلسفة الغربية المورد الفكري الأول الذي استمد منه نعوم تشومسكي جوهر أطروحاته، حيث انبرى لإعادة فحص إشكالية (طبيعة المعرفة البشرية) التي تجذرت في الفكر الإغريقي مع سقراط وأفلاطون منذ أربعة وعشرين قرناً. وبدلاً من الاكتفاء بالتأمل الفلسفي التقليدي، عمد تشومسكي إلى عصرنة هذه الإشكالية عبر إخضاعها لمنطق العلم الحديث، مبلوراً إياها في حزمة من التساؤلات المركزية:

"1. ما نظام المعرفة هذا؟ أي: ما الذي يوجد في عقل/دماغ الذي يتكلم الإنجليزية أو الإسبانية أو اليابانية؟.

2. كيف نشأ نظام المعرفة هذا في العقل/الدماغ؟.

3. كيف تستعمل هذه المعرفة في الكلام (أو في الانظمة الثانوية مثل الكتابة)؟.

4. ما العمليات العضوية التي تكوّن أساسه المادي؟"[2].

---

[1] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص5.

[2] – نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان، دار توبقال، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1990م، ص15/14.

ويُعدّ السؤال الثاني ذا أهمية خاصة ويسميه{مشكلة أفلاطون}التي "صاغها الفيلسوف برتراند راسل في أعماله الأخيرة:كيف يمكن لأفراد النوع البشري أن يعرفوا ما يعرفونه على الرغم من قصر تجربتهم مع الكون ومحدوديتها؟"[1].

ولقد جسّد أفلاطون هذه الإشكالية في كتابه {محاورة مينون} من خلال تجربة نفسية ومنطقية رائدة، حيث سعى سقراط للبرهنة على أن المعرفة ليست اكتساباً خارجياً بل هي تذكّر. وتتلخص هذه التجربة في قصة "مملوكا شابا كان يعرف مباديء الهندسة من غير سابق تدريب، وكانت طريقته في البرهنة على ذلك تتمثل في جعل المملوك يكتشف براهين الهندسة عن طريق سلسلة من الأسئلة كان يوجهها إليه"[2].

اعتمد سقراط في استخراج هذه المعارف الكامنة على منهجية ثلاثية الأركان:

- ✓ التعريف الاستنباطي.
- ✓ الحوار الجدلي.
- ✓ التهكم السقراطي (التوليد): وهو فن استخراج الأفكار البديهية من أعماق النفس.

وقد انطلقت هذه التجربة من سؤال مينون المحوري لسقراط:"كيف يمكن لنا أن نبحث عن شيءلانعرفه؟ اننا لانستطيع أن نبحث عن شيء نجهله، لهذا السبب البسيط: وهو أننا نجهل ما هو"[3]. ولحل هذا المأزق، قدم سقراط تفسيراً ميتافيزيقياً ينسجم مع التصور اليوناني القديم حول خلود النفس؛ حيث اعتبر أن النفس البشرية قد عاشت حيوات متعددة في العوالم الطبيعية والسفلية، مما جعلها مخزناً شاملاً لكل المعارف. وبناءً على ذلك، فإن تذكّر حقيقة واحدة يمثل طرف الخيط الذي (يشدّ حبال) بقية العلوم والمعارف المترابطة والمستقرة في وعي الإنسان منذ الأزل.

يبرهن أفلاطون على نظرية المعرفة السابقة (الكامنة) آنفا بتجربة سقراط مع الغلام الذي لم يدرس الرياضيات، ومع ذلك استطاع حل مسألة هندسية بمجرد توجيهه بالأسئلة. هذا النجاح كان دليلاً على أن المعرفة مستقرة في نفس الغلام مسبقاً وليست مكتسبة، وما أسئلة سقراط إلا مُحفز أخرج تلك المعلومات المخزونة من حيز الكُمون إلى حيز الظهور.

إن مشكلة أفلاطون تفسر "كيف نعرف هذا القدر الكبير جداً إذا ما أخذنا في الاعتبار أن ما هو متاح لنا من أدلة ضئيل للغاية"[4]؛ أي كيف يمكن للطفل أن يعرف كل هذه الأشياء عن اللغة، وكيف يستخدمها إذا كان المجتمع لا يقدم له إلا جزءاً بسيطاً من المعرفة اللغوية؟.

---

[1] – نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، المرجع نفسه، ص15.

[2] – نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، المرجع نفسه، ص15.

[3] – أفلاطون، في الفضيلة (محاورة مينون)، سلسلة محاورات أفلاطون مترجمة من النص اليوناني، تر: عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتّوزيع، القاهرة، 2001م، ص28.

[4] – اسماء بن منصور، الأسس الابستمولوجية في الفكر اللغوي لدى تشومسكي، مجلة مقدمات، جامعة باتنة1–الجزائر، مج 03، ع01، ديسمبر 2020 م، ص23.

جعل تشومسكي من هذه المشكلة نقطة انطلاق لرؤيته الحديثة، حيث اقترح حلاً يحيي فكرة سقراط وأفلاطون ولكن بقالب علمي؛ وهو الإقرار بأن "بعض مظاهر معرفتنا وفهمنا خصائصُ فطرية، أي أنها جزء من إعدادنا الأحيائي المحدد بالوراثة"[1]. ويرى أن هذه القدرات العقلية هي سمات أصيلة في جنسنا البشري، تماماً مثل الخصائص الجسدية التي "تجعل من اللازم أن تنمو لنا أرجل وأذرع بدلاً من أجنحة"[2].

يرى تشومسكي أن حل مشكلة أفلاطون يكمن في تحديد مفهوم النحو الكلي العام، ووصف كيفية تفاعل مبادئه الفطرية مع التجربة الحسية لإنتاج لغة محددة؛ إذ يعتبر أن النحو الكلي هو نظرية عن الحالة الأولية للغة.

وتزداد هذه القضية إثارة للجدل عند التسليم بأن الملكة اللغوية مكون ذهني/عقلي ينتج المعرفة بناءً على التجربة؛ فبينما يكتسب البشر لغات كالإنجليزية أو اليابانية، تعجز الكائنات الأخرى كـ (الطيور والقردة) عن ذلك، مما يستوجب معالجة المشكلة بأسلوب عصري يبحث في عمق الطبيعة البشرية.

ولذلك، يخلص تشومسكي إلى ضرورة رد مبادئ هذه الملكة اللغوية إلى "التركيب العضوي البشري فتفهم على أنها جزء من إعداده الأحيائي، إذ تشي هذه المبادئ بالطريقة التي يعمل بها العقل في نطاق الملكة اللغوية"[3].

2.1-ديكارت:

يُعدّ رينيه ديكارت مؤسس النزعة العقلانية الحديثة، حيث بنى نظريته المعرفية على منهج الشك المنهجي، وصولاً إلى اليقين الأول المتمثل في مبدأ الكوجيتو (أنا أفكر إذن أنا موجود) ومن خلال هذا المسار، أثبت أسبقية الوجود العقلي على المادي، وجعل الذات المفكرة منطلقاً للمعرفة، معتمداً على الحدس والاستنباط والأفكار الواضحة والمتميزة. وفي هذا الإطار، يوضح ديكارت وعيه بحدود العقل من خلال فصله بين الحقائق العقلية وحقائق الإيمان، قائلاً:"وبعد أن استوثقت كذلك من هذه الحكم، ووضعتها ناحية حقائق الإيمان التي لها دائماً المنزلة الأولى في اعتقادي، حكمت بأن ما بقي من آرائي هو أن أعمل على التخلص منها"[4]،كما يؤكد أن الأفكار الكلية فطرية، مستدلاً بقوله:"فلا بد أن تكون هذه الفكرة قد أُلقيت إليّ من الطبيعة هي في الحقيقة أكثر مني كمالاً...وإذا أردت التعبير بكلمة واحدة عن تلك الطبيعة، فإن المراد بها الله"[5].

وبناءً على هذا التصور، يرى ديكارت أن اللغة ليست مجرد أداة اتصال، بل هي الدليل القاطع على انفلات الفعل الإنساني من القوانين الميكانيكية وتحرره من الحتمية المادية. فاستعمال اللغة يتطلب قدرة على الابتكار والسياق الحر، مما يجعلها معياراً نوعياً يفصل الإنسان عن الآلة التي تعمل بآلية ثابتة ومحددة سلفاً. ويمثل

---

(1) – نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، مرجع سابق، ص16.

(2) – نعوم تشومسكي، المرجع نفسه، ص16.

(3) – نعوم تشومسكي، المرجع نفسه، ص44.

(4) – رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمد محمود الحصري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط2، 1968م، ص143/ 144.

(5) – رينيه ديكارت، المرجع نفسه، ص156/155.

المبدأ الإبداعي في الاستعمال اللغوي عند ديكارت تجلياً للعقل الناطق، الذي يتجاوز القوالب الجاهزة ليعبر عن الفكر الحر والاختيار الواعي.

وبالتالي، يقيم ديكارت نموذجاً ثنائياً لتفسير السلوك الإنساني يعتمد على مبدأين متمايزين:

- ✓ **المبدأ الإبداعي(العقلي)**: المرتبط بالعقل واللغة، وهو مسؤول عن التعبير الحر، والابتكار الدلالي، وممارسة الإرادة والاختيار، وينفلت من الحتمية الميكانيكية.
- ✓ **المبدأ الميكانيكي(الجسدي)**: الذي يحكم عمل الأعضاء والأعصاب والردود الفيزيولوجية التلقائية، ويسير وفق قوانين السببية المادية الثابتة التي تشبه عمل الآلة.

وهكذا، تظل اللغة عند ديكارت العلامة الفارقة على الثنائية الأنطولوجية بين العقل الممتد والمفكر من جهة، والجسد الممتد والآلي من جهة أخرى، مؤكدةً على خصوصية الإنسان وقدرته على تجاوز الحتمية الطبيعية عبر العقل واللغة.

بناءً على هذا التوجه الفكري الديكارتي الذي حكم فيه بأسبقية الفكر عن اللغة، والقول بأن للغة وجود فطري مودع في كل دماغ بشري، تأسس الدرس اللغوي عامة، والدرس اللغوي التشومسكي خاصة، حيث اعتبرت الخلاصات التي توصل إليها ديكارت في حديثه حول العقل واللغة مرجعية هامة في اللسانيات التوليدية، مع أنها لاقت الكثير من الإهمال والتغافل عند رواد المدرسة البنيوية والوصفية خاصة.

أعاد تشومسكي صياغة الخلاصات الديكارتية، فانطلق أولاً من تبني الطرح الفطري المتعلق بالفكرة القائلة "أن العقل البشري هو موهبة فطرية مشتركة بين جميع الناس، وأن اللغة واحدة من الملكات العقلية، التي تتجلى فيها فرادة الإنسان وتفوقه، الذي تظهر ملامحه الكاملة في المظهر الإبداعي للاستعمال اللغوي، وهي ما يسميه السؤال الديكارتي المتعلق بالتفسير العلمي لهذا المظهر، ثانياً إصراره ورفضه للتصور الثنائي(العقل والجسد)"[1].

يصر تشومسكي على الرأي الديكارتي فيؤكد أن اللغة ظاهرة إنسانية فريدة من نوعها، خاصة بالنوع البشري فقط، لأنها لا تشبه نظام إشارات الاتصال الحيواني، لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقل البشري، معبرة عن أفكاره وإرادته "ولذلك فإن هذه الملكة الموروثة جينياً هي حقيقة أثبتت بطلان الافتراض التطوري، القائل بأن اللغة الإنسانية تطورت عن نظم إشارات الحيوانات التي يعتبرها الداروينيون أسلافنا ويقصد بها في السلّم الهرمي التطوري بالرئيسيات (كالغوريلات والقرود)، وهذا وفق مبدأ الانتخاب الطبيعي"[2]. فإذا قارنا بين نظام اتصال الحيوانات ونظام اللغة الإنساني، سنجد الهوة بين النظامين واسعة وعميقة، ولا توجد نقطة تشابه بينهما، لأن نظام الإشارات لتلك الكائنات حاجة غريزية، أما اللغة الإنسانية فهي نسق ذهني معقد وظيفته التعبير عن الفكر.

---

[1] – خديجة مانع، الحضور الفلسفي في النظرية اللسانية لنعوم تشومسكي، مجلة مقاربات فلسفية، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم–الجزائر، مج11، ع01، 2024م، ص363.

[2] – خديجة مانع، مرجع سابق، ص363.

بالإضافة إلى أن اللغة الإنسانية تتميز بخصائص أساسية مثل: الإبداع، والتجريد، والاستقلال عن السياق، وأهمها "خصيصة اللانهائية المتميزة"[1] التي تسمح بتوليد عدد غير محدود من الجمل انطلاقاً من عناصر محدودة، مما يفسر طابعها الابتكاري.

يرى تشومسكي أن المتكلم يملك كفاءة لغوية ضمنية تتيح له فهم وإنتاج عبارات جديدة، مما يجعل اللغة فعلاً إبداعياً لا مجرد تكرار. وتعمل هذه الكفاءة وفق قواعد عقلية لا واعية، لذا يُحكم على صحة الجملة بانسجامها مع النظام اللغوي الداخلي لا بسبق استخدامها. ويميز بين الفهم الذي يحلل البنية ويربطها بالمعنى، والإنتاج الذي يولد جمل جديدة وفق القواعد الداخلية.

سعى تشومسكي إلى تجاوز التفسير الديكارتي الذي يرى "أن المبدأ الإبداعي للغة يشكل جوهرا ثان منفلتا من الميكانيكة الحتمية"[2]. وحاول تقديم تفسير علمي لهذا الإبداع من خلال البحث في الآليات الذهنية المساعدة للغة عند الدماغ البشري، وقد تجلى ذلك في مقاربات مثل: اللسانيات الإحيائية والبرنامج الأدنوي، حيث حاول الكشف عن المبادئ الفطرية التي تنظم اللغة في الذهن البشري. ومع ذلك تبقى مسألة تفسير كيفية اشتغال هذه الآليات الذهنية بدقة مجال البحث في اللسانيات المعاصرة.

3.1-مدرسة بور رويال:

تُعدّ مدرسة بور رويال من أبرز المدارس النحوية ذات المنزع العقلي، إذ تأسست سنة(1637م) وحلت سنة (1661م) نتيجة الصراعات الدينية والسياسية في فرنسا. وقد تأثرت هذه المدرسة تأثرا عميقا بالفلسفة الديكارتية، ويتجلى ذلك في أوّل مؤلفاتها الموسومة بـ {النحو العام والعقلي} وقد انطلق نحاة هذه المدرسة من مبدأ أساسي مفاده أنّ العقل هو مصدر المعرفة، وهو ما جعل دراستهم للغة ذات طابع فلسفي عقلاني واضح. قال مصطفى غلفان: "ونحو بور رويال نموذج واضح لتأثير الفلسفة العقلانية في الدراسة اللغوية عامة، وفي النحو التوليدي بشكل خاص. ويندرج هذا التّصور النحوي في إطار افتراض فكري عام يستمد أصوله من الفلسفة العقلانية عند ديكارت ومفاده وجود تطابق تام وكامل بين البنيات المنطقية والبنيات اللغوية"[3].

وفي ضوء هذا التوجه سعى نحاة بور رويال إلى تأسيس نحو عام شامل على جميع اللغات، انطلاقاً من فرضية وجود مبادئ عقلية مشتركة تحكمها، وقد دعموا أطروحتهم بأمثلة من لغات متعددة كالإغريقية و اللاّتينية و العبرية وغيرها "سعى نحاة بور رويال إلى وضع قواعد نحو عام ينطبق على جميع اللغات البشرية لأنّها مهما اختلفت وتنوعت وتعددت تلتقي في كونها تخضع للقواعد نفسها التي تجسدها المقولات العقلية العامة عند الإنسان، الّتي تعدّ من منظور نحاة بور رويال أساسا صالحا لبناء نحو اللغات وصياغة قواعدها"[4].

---

[1] – خديجة مانع، المرجع نفسه، ص ن.

[2] – خديجة مانع، المرجع نفسه، ص365.

[3] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص7.

[4] – المرجع نفسه، ص ن.

وقد وجدت هذه الأفكار صداها في اللّسانيات التّوليدية عند تشومسكي خاصة في مفهوم (الكليات اللغوية) "وهي المواد اللغوية والخصائص الشكلية المشتركة بين اللغات البشرية"[1]. كما اهتم نحاة بور روايال بتمييز الإنسان بظاهرة اللغة، معتبرين إياها تعبيرا واعيا عن الفكر، ومؤكدين أن اللّغة نظام محدود في وسائله(الأصوات) وغير محدود في إنتاجه التركيبي.

وقد استوحى تشومسكي فكرة التّوليد من هذه المدرسة،قال مصطفى غلفان: "واستوحى تشومسكي من فيلسوف ألمانيا الكبير ويليام فون همبولدت(1767-1835) فكرته المتعلقة بالإبداع أو الخلق اللّغوي وكيف أن المتكلم بواسطة اللّغة، يستطيع أن يولّد مالا حصر له من الجمل انطلاقا من قواعد محدودة العدد؛ وذلك لأن اللّغة في حدّ ذاتها ليست بناء تاماً(Ergon) ولكنها نشاط(Energeia) في مرحلة الإنجاز وأنّ تعريفها لن يكون إلاّ تكوينيا "[2].

ومن أبرز ما اقتبسه تشومسكي من النحو الديكارتي الذي تبناه بور روايال "(تقسيم الجملة إلى جانبين أو مظهرين الأول داخلي والآخر خارجي) فالجانب الدّاخلي يمثل البنية الدّاخلية للكلمة أو الجملة وهو يمثل التّصور أو الفكرة أو المعنى الّذي يظهره لنا الجانب الخارجي للجملة أو المفردة وهو الجانب المنطوق والمسموع والّذي يمثل مجموعة من الأحرف والإشارت والرّموز الّتي يتم من خلال التركيب بينهما التعبير عن الدلالة والمعنى أي البنية الداخلية"[3]. فهو هنا قد ميز بين البنية العميقة والبنية السطحية.

ويرتبط هذا التحليل بفكرة مركزية لدى نحاة بورت رويال مفادها أن اللغة تخضع في جوهرها لمبدأ منطقي قوامه الإسناد(الحكم)، حيث تُبنى الجملة على أساسين مسند ومسند إليه. ويؤكد تشومسكي هذا التصور حين قال:"إنّ الصورة الأساسية للفكر هي الحكم الّذي يسند به شيء على شيء آخر، ويعبر عنه لغويا بواسطة القضية، الّتي يمثل حدها الأول (الفاعل) الّذي هو ما نستند إليه، ويمثل الثاني (المحمول) الّذي هو مايحمل"[4].

هكذا يتبين أنّ كل هذه الرّوافد العقلانية التي مثلتها فلسفة أفلاطون وديكارت ومدرسة بور روايال وأفكار هومبولدت قد شكلت الأساس النظري الذي انطلق منه نعوم تشومسكي في بناء نظريته التوليدية من خلال تركيزها على البنية الذهنية العميقة للغة والآليات العقلية التي تحكم إنتاجها وفهمها، متجاوزاً بذلك الفكر البنيوي الذي اعتنقه اللسانيون الأوروبيون والأمريكيون على حد سواء.

2_ الروافد العلمية(مفاهيم عامة):

تُعد نظرية النحو التوليدي التحويلي للعالم الأمريكي نعوم تشومسكي من النظريات العالمية الرائدة التي أحدثت تحولاً جذرياً في الدرس اللغوي، وقد استمدت أصولها من عدة تراثات لسانية سابقة، خاصة النحو

---

(1) – المرجع نفسه، ص 8.

(2) – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص10.

(3) – خديجة مانع، مرجع سابق، ص366.

(4) – خديدة مانع، مرجع نفسه، ص367.

الوصفي البنيوي، والنظرية التوزيعية، والنظرية الوظيفية. وقد جاء كتاب (البنى النحوية (1957م)) ليعلن عن ميلاد منهج جديد يتجاوز الوصف المحض إلى التفسير العلمي للظواهر اللغوية.

ظهر نعوم تشومسكي في ذروة انتشار اللسانيات البنيوية ليؤسس مدرسة لغوية جديدة تقوم على مبادئ معرفية ومنهجية تُغاير سابقاتها، مع احتفاظه بجذور أكاديمية واضحة من إرث أساتذته. فقد نشأ تشومسكي علمياً في كنف البنيوية الأمريكية، إذ تتلمذ على يد هاريس التلميذ المباشر لبلومفيلد مؤسس اللسانيات التوزيعية. وهو ما يؤكده اللغوي تمام حسان بقوله: "العلامة تشومسكي تلميذ هاريس الذي هو تلميذ بلومفيلد منشئ اللغويات التوزيعية في أمريكا، ومن هنا يعد النحو التوليدي حفيداً إن لم يكن ابناً مباشراً للنحو التوزيعي"[1]. ويتجلى هذا الامتداد المنهجي بوضوح في اعتماد تشومسكي للتحليل التشجيري كأداة جوهرية في نماذجه النحوية، مما يعكس استمرارية معطيات البنيوية مع تحول جذري في غاياتها النظرية.

فاللسانيات التوليدية التحويلية لم تأتِ من فراغ، بل قامت على تفكيك الأسس الوصفية للبنيوية واستبدالها بإطار نظري يجعل العقل البشري منطلقاً أولياً وركيزة أساسية لفهم اللغة. وفهم هذا التحول يستلزم التوقف عند طبيعة النشاط العلمي ذاته، الذي يُعرّفه المؤرخ والفيلسوف يمنى طريف الخولي بأنه: "الفعالية العظمى التي تشكل وتعيد تشكيل العقل والواقع المعاصرين، يوماً بعد يوم إلى غير نهاية، نجد تاريخ العلم هو تاريخ العقل الإنساني والتفاعل بينه وبين الخبرات التجريبية أو معطيات الحواس، هو تاريخ المناهج وأساليب الاستدلال وطرق حل المشكلات التي تتميّز بأنّها واقعية علمية ونظرية على السواء"[2].

وقد ارتكز الدرس اللساني البنيوي والوظيفي على المنهج التجريبي التصنيفي، المتأثر بالفكر البيكوني الذي أسسه فرانسيس بيكون، والذي يقتصر على جمع الظواهر وتنظيمها وتصنيفها دون تجاوز ذلك إلى التفسير العميق. ويؤكد مصطفى غلفان أن النشاط العلمي "محاولة مستمرة من لدن الإنسان لفهم أعمق وأشمل للظواهر المحيطة به، وذلك قصد السيطرة عليها والتحكم فيها ولو عن طريق المعرفة المجردة"[3]، وهو ما يبرر سعي كل ابتكار علمي لتجاوز إكراهات المرحلة السابقة وبناء أسس معرفية جديدة.

لقد التزمت البنيوية بجميع مدارسها بطابع تجريبي وصفي شكلاني، يرفض الافتراض والتأويل، مكتفياً بالملاحظة المباشرة للوقائع اللغوية. وفي وصف هذا الاتجاه "يقول روبنس: من الممكن أن نجعل مكانة اللسانيات اليوم بين العلوم الأكثر وضوحاً؛ إنها علم تجريبي. وفي الاتجاه نفسه يسير أندري مارتيني. إن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة البشرية. ويقال عن دراسة ما إنّها علمية عندما ترتكز على ملاحظة الوقائع"[4].

---

[1] – حيدر هادي خلخال، النظرية التوليدية والنحو العربي (مقارنة في التأثيل و النقد)، مجلة حوليات الآداب و اللغات، كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة–الجزائر، مج9، ع1، مارس2021م، ص58.

[2] – يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص10.

[3] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص13.

[4] – المرجع نفسه، ص 17.

إلا أن هذا التصلب المنهجي جعل البنيوية عاجزة عن تقديم تفسيرات شاملة للغة، فأنحسرت قدرتها التفسيرية أمام تراكم الأسئلة المعرفية التي تتجاوز حدود التصنيف. وكان ذلك سببا مقنعا ودافعا قويا لتشومسكي لتغيير الوجهة العلمية للبحث اللساني من الوصف إلى التفسير. قال ميشال زكريا: "إنّ هدف البحث الألسني الأساسي محاولة بناء نظرية متكاملة تتناول اللغة بصورة شاملة. وهذا الهدف هدف كل العلوم، بصورة عامة، وبعكس ما يعتقده البعض خاصة الألسنيون البنيانيون، فإن هدف الألسنية لا ينحصر في تجميع المعطيات اللغوية وتصنيفها وترتيبها، بل يقتضي وضع النظريات.وهذا ليس بالسهولة كما قد يعتقد البعض وذلك بسبب تداخل المعطيات العائدة إلى اللغة. ولا بد لنا من أن نميز هنا بين النشاط العلمي التصنيفي وبين النشاط العلمي التنظيري الذي يدعونا تشومسكي إلى اعتماده"[1]. وبذلك، اعتبر تشومسكي المنهج الوصفي ميكانيكياً وقاصراً عن الإحاطة بعملية الكلام، داعياً إلى الانتقال من الاستقراء الشكلي إلى الاستنتاج التفسيري القائم على الكفاءة اللسانية الذهنية.

ويمكن تلخيص التحول من التصنيف إلى التفسير في جدول كالآتي:

البنيوية الأمريكية	التوليدية التحويلية
منهج استقرائي تصنيفي(بيكوني)	منهج استنتاجي تفسيري (ديكارتي)
التركيز على الأداء	التركيز على الكفاءة
وصف الظواهر اللغوية وتنظيمها	تفسير الآليات الذهنية المولِّدة للجمل
رفض الفرضيات والتأويل المسبق	اعتماد الفرضيات والنمذجة النظرية
اللغة كمجموعة من العادات السلوكية	اللغة كقدرة فطرية إبداعية

3_جذور النظرية التوليدية التحويلية في التراث العربي القديم:

لم تكن نظرية النحو التوليدي التي أسّس لها نعوم تشومسكي وليدة فراغ فكري، بل كانت ثمرةً لتراكم معرفي عميق، تشرّب فيه صاحبها موروثَ النحو العربي والعبري في العصور الوسطى منذ نعومة أظفاره. وقد أقرّ تشومسكي بهذا التأثير إقراراً صريحاً، فقال: "إن دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى، فقد كان والدي متخصصاً في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، وقد درست هذا النحو على يديه"[2]. وقد امتدّ هذا الاهتمام إلى مرحلة دراسته الجامعية، حيث جمع بين النحو العبري الحديث ونحو القرون الوسطى العربي في آنٍ واحد، ليتضح أن هذا الرصيد المعرفي المزدوج لم يبقَ حبيس الدراسة النظرية، بل تحوّل إلى منطلق أصيل لتفكيره اللساني، وهو ما أشار إليه بقوله: "كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي(البنية المنطقية للنظرية اللسانية)، وناقشت في هذه المقدمة كيف أن بعضاً من دراستي المبكرة في صغري لنحو القرون الوسطى كان قد قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية،

[1] – ميشال زكريا، مرجع سابق، ص 93/92.

[2] – مازن الوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية و التحويلية، واشنطن، 1980م، ص79.

ونظرية النحو التوليدية"[1]. ومن أبرز ما يكشفه هذا الاعتراف أن أول بحث كتبه تشومسكي في النحو التوليدي كان موضوعه اللغةَ العبرية، مستنداً في ذلك إلى الأفكار التي استقاها من النحو الكلاسيكي، إذ يقول: "أول بحث كتبته في النحو التوليدي هو ما كتبته في النحو التوليدي للغة العبرية، واعتمدت فيه على هذه الأفكار، وكان ذلك في أواخر الأربعينيات"[2].

وتتعمّق الصورة أكثر حين نعلم أن تشومسكي لم يقتصر على التراث العبري، بل امتدّ اهتمامه ليشمل الدراسات السامية عموماً، والتراث النحوي العربي خصوصاً. وفي هذا السياق تأتي شهادته البليغة التي يُذكر فيها متناً نحوياً عربياً عريقاً بالاسم: "قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية. وما زلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت...لقد كنت وقتذاك طالباً في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا، وكنت مهتماً بالتراث النحوي العربي والعبري"[3].

إنّ التّراث النّحوي العربي والعبري لم يكن مجرد محطة عابرة في مسيرة تشومسكي الفكرية، بل كان الأرضية الصلبة التي انبثقت منها مبادئه التأسيسية في اللسانيات الحديثة،كالتركيز على: الجمل سلاسل لغوية تكون متلازمة ومنتقاة دلاليا(الشيء نفسه عند العرب)، والبنية العميقة والسطحية(النظم والترتيب والبناء والتعليق)، القدرة اللغوية(امتلاك قواعد الكلام)، الكلام الأصولي وغير الأصولي(استقامة الكلام واستحالته)، اللغة نظام عقلي(الوجه الذي اقتضاه العقل، ترتب المعاني في النفس).

مما يجعل الإسهامَ العربي الإسلامي في هذا المجال جزءاً لا يتجزأ من تاريخ اللسانيات العالمية.

---

[1] – المرجع نفسه، ص80/79.

[2] – المرجع نفسه، ص80.

[3] – مازن الوعر المرجع نفسه ، ص 72.

خامسا: مراحل تطور النظرية التوليدية التحويلية:

تُعتبر المدرسة التشومسكية من أبرز المدارس اللغوية التي سيطرت على الساحة اللغوية لفترة زمنية طويلة. وعلى عكس مدرسة دي سوسير التي ظهرت كبنية مكتملة، فإن النظرية التشومسكية لم تظهر دفعة واحدة، بل مرت بعدة مراحل تطورية متعاقبة. في كل مرحلة من هذه المراحل، كان تشومسكي يقوم بإضافة تعديلات جديدة وإعادة صياغة لمفاهيمه التوليدية التحويلية، وذلك سعيًا منه لتقديم تفسيرات أكثر دقة للظواهر اللغوية المختلفة. وهكذا استمر البرنامج التشومسكي في التطور والتجدد عبر هذه المراحل المتلاحقة، التي نوضحها في المخطط الآتي:

مخطط مراحل النظرية التوليدية التحويلية:

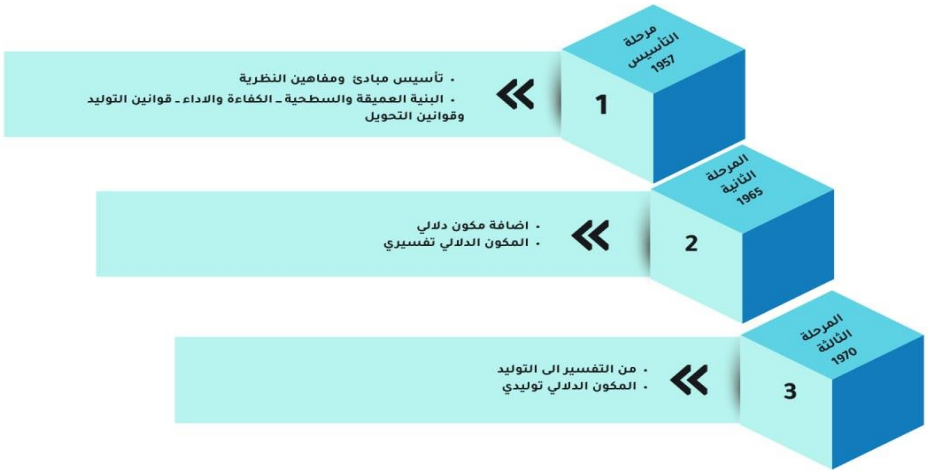

1_مرحلة البنى التركيبية (1957/1965م):

تشكل المرحلة الأولى لهذه النظرية في المناذج التوليدية التي صاغها تشومسكي، والتي غلب عليها الطابع النحوي "حيث يعد كتابه البنيات التركيبية الصادر سنة(1957م) انطلاقة ما يسمى في الأدبيات اللسانية المعاصرة بالنحو التوليدي التحويلي؛ سعى فيه صاحبه إلى تجاوز قصور النحو المركبي الذي كان سائداً في الخمسينات من القرن العشرين؛ وتطعيمه بمكون جديد هو المكون التحويلي. يطرح تشومسكي في كتابه البنيات التركيبية جملة من الأسئلة والأجوبة عن طبيعة المعرفة عند المتكلم، وعن الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها النحو ليتمكن من وصف ما يملكه المتكلم من قدرة لسانية تتميز بالابداع والتجدد"[1].

1.1- المحاور الرئيسيّة: وقد اعتمد على أربعة محاور تأسيسية شكلت جوهر النموذج الأول:

1.1.1- خاصية الإبداع اللّغوي: تمنح القواعد والمفردات المحدودة المتكلم قدرةً لا نهائية على فهم وإنتاج تراكيب جديدة لم يصادفها من قبل، مما يعكس طبيعة العقل البشري التوليدية وإبداعه اللغوي الفطري.

[1] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص95.

2.1.1– دور الحدس اللّغوي: اعتمد تشومسكي على حدس المتكلم الأصلي معياراً للحكم على قبول الجمل أو رفضها نحوياً، والتمييز بين التراكيب الصحيحة والخاطئة، أو بين الدلالات الواضحة والملتبسة.

3.1.1– نقد المنهج السلوكي: رفض تشومسكي النموذج السلوكي(الذي روّج له بلومفيلد) الذي حصر اللسانيات في جمع العينات وتصنيفها، ودعا إلى بناء نظرية تفسيرية تكشف عن القواعد الداخلية التي تتحكم في إنتاج اللغة وفهمها، لا مجرد وصف ظواهرها.

4.1.1– الطابع الرياضي للقواعد: سعى تشومسكي إلى صياغة القواعد النحوية بلغة شكلية دقيقة ومحدودة، قادرة آلياً على توليد كل الجمل المقبولة في اللغة واستبعاد التراكيب المنحرفة، مما يمنح الوصف اللساني دقةً علمية وصرامةً منطقية.

مثّل هذا النموذج التأسيسي نقطة تحول جذرية في اللسانيات الحديثة، بربطه بين البنية الرياضية للقواعد والكفاءة اللغوية الذهنية، وتمهيداً لتطور المراحل اللاحقة من النظرية التوليدية.

2.1– الأطر التّحليليّة:

وفي إطار نظرية البنى التركيبية، يطرح تشومسكي ثلاثة أطر تحليلية لتفسير تكوين الجملة، مستنداً إلى مفهوم «الإبداع اللغوي» الفطري لدى المتكلم، والذي يتجلى في قدرته على توليد تراكيب لا نهائية وإعادة تشكيلها تحويلياً. وقد قدّم هذه الأطر في تسلسل منهجي يعكس تطور الرؤية اللسانية، وهي:

- ✓ نموذج القواعد النحوية المحدودة .
- ✓ نموذج بنية العبارة.
- ✓ نموذج القواعد التحويلية.

ويُبرز هذا التسلسل انتقالاً من نماذج خطية بسيطة إلى أطر تحليلية أعمق، وصولاً إلى الآلية التحويلية التي تفسّر بدقة قدرة اللغة البشرية على الإنتاج اللامتناهي والمرونة التركيبية.

1.2.1_ نموذج القواعد النحوية المحدودة:

هي أبسط الأطر التوليدية التي اقترحها تشومسكي، إذ يقوم هذا النموذج على مبدأ "أنّ الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات. تبدأ من اليسار إلى اليمين؛ بمعنى عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول، فإنّ كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها مباشرة، وبناء على ذلك يجري التركيب النحوي للجملة"[1]. أي يعتمد على المعالجة التسلسلية (كل عنصر لاحق يُحدَّد بالعنصر السابق مباشرة).

ويمكن توضيح ذلك في المثال الآتي: "– هذا الرجل اشترى بعض الخبز.

فلو اخترنا كلمة (هؤلاء) بدل (هذا) كان يجب اتباع الكلمة بصيغة الجمع (الرجال). وكذلك نتبع (الرجال)، بـ(اشتروا) وهكذا دواليك؛ فعملية بناء الجملة وتوليدها يعتمد على مبدأ الاختيار"[2].

---

[1] – نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، د ط، 2003م، ص146.

[2] – المرجع نفسه، ص ن.

إلا أنّ هذا النموذج بقي عاجزا عن توليد نوع معين من الجمل، لهذا "اقترح تشومسكي قواعد اخرى سماها بقواعد تركيب أركان الجملة"[1].

2.2.1_ نموذج بنية العبارة:

هذا النموذج بينه وبين النموذج الأول علاقة تكاملية، إلاّ أنّه أكثر تعقيدا منه، إذ يتخذ "الجملة كوحدة اساسية في التحليل، وتتخذ القاعدة التوليدية شكل قاعدة إعادة كتابة؛ بمعنى أنّها تعيد كتابة جمل بواسطة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام"[2].

فكل جملة عند تشومسكي تتألف من مكونات أساسية مباشرة، وقد حاول فيها الجمع بين الطريقة الإعرابية القديمة ونوع من القواعد العلمية، مع الاستعانة بمناهج الرياضيات والمنطق الرمزي.

ويمكن أن نمثل لها كالآتي:

ج= جملة	ا= اسم
ت ا=تركيب اسمي	ف=فعل
ت ف= تركيب فعلي	تع= تعريف(أداة)

وفيما يلي الشكل الجديد لأنظمة القواعد التي ترتبط بالتحليل إلى المكونات:

- الرجل ضرب الكرة.

(1) ج ⟵ ت ا+ت ف.

(2) ت ا ⟵ تع+ا.

(3) ت ف ⟵ ف+ت ا.

(4) تع ⟵ ال.

(5) ا ⟵ رجل ، كرة.

(6) ف ⟵ ضرب

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 147 .

[2] – المرجع نفسه ، ص ن .

نبدأ بتطبيق القاعدة (1) التي تؤدي إلى: (ت ا+ت ف)، ثمّ نفحص هذه النتيجة لنرى هل يحتاج أي عنصر فيها إلى تطبيق القواعد عليها، فنرى أنّ القاعدتين(2) و(3) هما اللتان تنطبقان، فإذا طبّقنا القاعدة(3) فإننا نصل إلى: (تع+ا+ف+ت ا).

وهنا نستطيع أن نطبّق القاعدة (3) مرّتين، ثمّ نتبعها بالقاعدة(4) و(5) و(6) لنصل إلى الجملة الآتية بعد تسع خطوات:

ا ل+رجل+ضرب+ا ل+كرة.

يكون تحليل الجملة كالآتي:

(1) ت ا+ت ف.
(2) تع+ا+ت ف.
(3) تع +ا +ف + ت ا.
(4) ال +ا +ف +ت ا.
(5) ال +رجل +ف +ت ا.
(6) ال + رجل + ضرب + ت ا.
(7) ال + رجل + ضرب+ تع + ا.
(8) ال + رجل + ضرب + ال + ا.
(9) ال + رجل + ضرب + ال + كرة.

إنّ هذا التحليل لا يكاد يختلف عن التحليل التوزيعي التركيبي عند تنيار، "في النموذج التوليدي الأول(1957)، اعتبرت الجملة بنية مركبية بسيطة موروثة في أسسها النظرية والمنهجية عن التحليل البنيوي التوزيعي في إطار ما يعرف بالنموذج المركبي أو نحو المركبات"[1].

وصوّر تشومسكي هذه الطريقة بالمشجّر الآتي:[2]

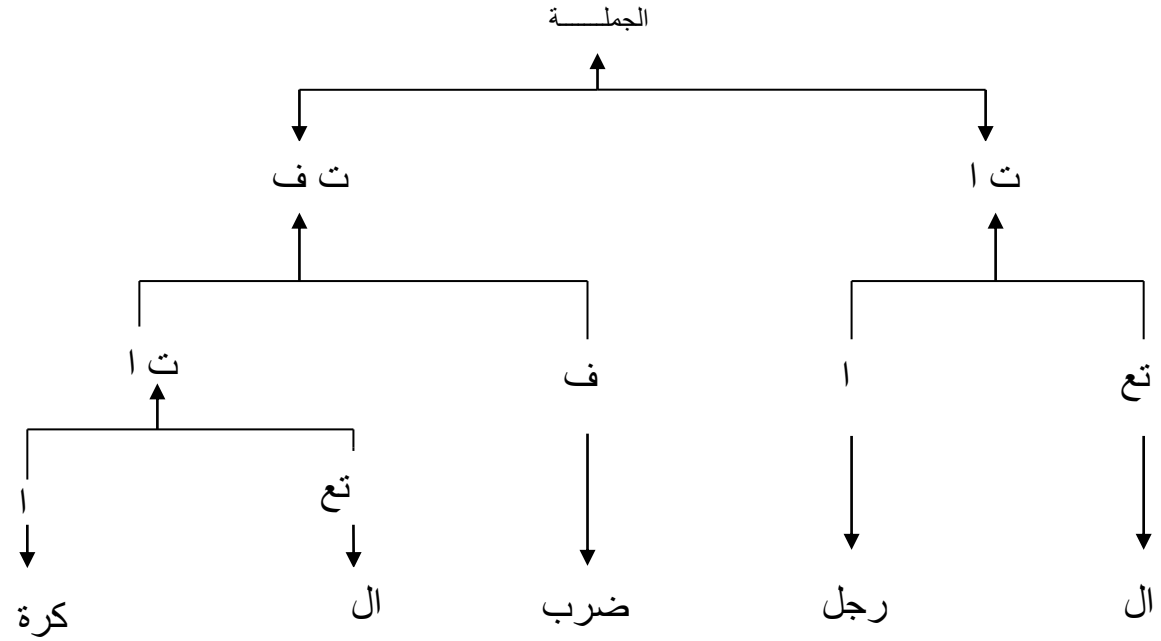

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية،من النموذج قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي مفاهيم وأمثلة،عالم الكتب الحديثة ،إربد،الأردن، ،ط1،2010،ص262.

[2] – مصطفى غلفان ، مرجع سابق ، ص 62

إنّ الهدف الأساس من هذا التحليل هو أن يصل النحوي إلى المكونات الأساسية المباشرة والتي عليها يقام نظام للقواعد يدرج الخطوات التي يمكن أن تولّد الجمل النحوية في اللغة. ويسمّى هذا النوع من التحليل بـ:(شجرة تشومسكي) وقد يطلق عليها أيضا:

"1- علامة الجملة Marqueur de phrase .

2- الشجرة الموسومة Arbre étiquité.

3-المؤشر المركبي Indicateur syntagmatique"[1].

إنّ شجرة تشومسكي من أبرز التمثيلات البيانية في الدراسات اللسانية، وذلك لما تتسم به من وضوح وبساطة وشمولية. فهي تجسّد منهجية تحليل المكونات المباشرة، وتتيح قراءة البنية إما من الأعلى إلى الأسفل أو بالعكس. ومع ذلك، تظل هذه الأداة التحليلية قاصرة عن الإحاطة بجميع التراكيب النحوية الصحيحة في شتى اللغات، ولا سيما تلك التي تختلف اختلافًا جوهريًا في بنيتها عن النموذج الإنجليزي، مما يكشف عن محدودية تطبيقها عالميًا دون تكييف نظري أعمق.

"ومن هذا المنطلق،كانت الحاجة إلى إعادة النظر في النموذج المركبي،ليس بتقديم بديل لساني عنه،وإنّما بتطعيمه بالمكون التحويلي ،كان هذا ،على الأقل،هو هدف تشومسكي في بداية الأمر،كما يتضح جليا في كتابه البنيات التركيبية(1957)"[2].

3.2.1_ نموذج القواعد التحويلية:

القواعد التحويلية هي قواعد تتيح تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة والإجراءات التي تحدث لتجعل الجملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الاخرى وذلك عن طريق: الحذف، التعويض، التوسيع، الاختصار، الزيادة، إعادة الترتيب، والتقديم، وهي آلية اعتمدها تشومسكي لربط البنى العميقة بالبنى السطحية، مميّزاً بين (التوليد) الذي يدل على القدرة الإبداعية على إنتاج جمل لا نهائية و(التحويل) وهو نقل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية، وإن اقتضى الأمر أكثر من عملية تحويل .

وقد فضّل تشومسكي هذا النموذج لقدرته على عكس الحدس اللغوي، وتوليد جمل غير متناهية، واهتمامه بالمعنى، وإزالة اللبس التركيبي في النماذج السابقة.كما اقترح قوانين تحويلية تعيد تشكيل البنية النحوية وتولّد عناصر كالزمن والاستمرار وغير ذلك، وهي علامات وأنساق فعلية تظهر على شكل لواصق في نهاية الفعل.

---

[1] – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص61/ 62.

[2] – المرجع نفسه، ص 66.

ومثال ذلك:جملة (فتح الرجل الباب الخارجي)، فباتباع القواعد التّحليليّة نجد ما يأتي كتابة القواعد التّحويليّة على شكل سلاسل لغويّة.

1- ج ← ت ف + ت ا.

2- ت ف ← ف + ت ا

3- ف ← ف م + فع

4-ف م ← ز

5-ت ا ← تع + ا

6- ت ا ← تع + صف

7- تع ← ال

8-ا ← رجل ، باب .

9- صف ← خارجي.

10- فع ← ف ت ح (فع= فعل أصلي)

تطبيق القواعد:

11 ← /ز + ف ت ح + ال + رجل + ال+ باب + ال + خارجي /

12 ← / ماضي + ف ت ح + ال + رجل + ال + باب + ال + خارجي /

13 ← / ف ت ح + ماضي + ال + رجل + ال + باب + ال + خارجي/

14 ← / فتح + ماضي / ال/ رجل / باب / ال / خارجي /

15 ← / فتح / ال / رجل /باب / ال / خارجي

2_ مرحلة النظرية اللسانية النموذجية(1965/ 1975م):

يؤرخ لهذه المرحلة بعام 1965م، مع ظهور كتاب(أوجه النظرية التركيبية)، وهو الكتاب "الذي تدارك فيه تشومسكي النقائص الواردة في كتابه الأول(البنى التركيبية)، وفي هذا الكتاب أخذت النظرية صورتها النهائية بعد التحويلات التي مستها إثر طرح كاتز وفودور وبروندال فكرة ضرورة ادماج القضية الدلالية على نحو واضح[1]. ويعرف هذا النموذج بـ(النموذج المعيار).

في هذه المرحلة ميز تشومسكي "بين البنى العميقة والبنى السطحية وإختلاف البنيويين والتوزيعيين؛ إذ لايميز هؤلاء بين مستوى سطحي ومستوى عميق في الجمل"[2].

كما أنه أضاف صندوق للقواعد أطلق عليه اسم (المكون الدلالي) وذلك كما يمثله الرسم البياني الآتي[3]:

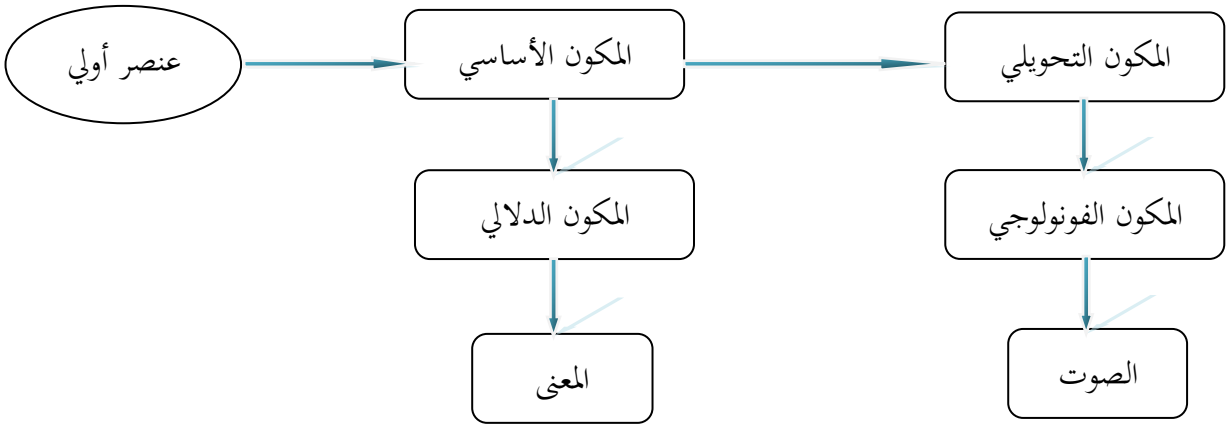

ومن المفاهيم التي حفل بها مؤلفه:

- ✓ ثنائية قدرة/ إنجاز.
- ✓ ثنائية البنية العميقة/ البنية الطحية.
- ✓ مفهوم الكليات اللغوية.
- ✓ القواعد المقولية التفريعية الإنتقائية الصارمة.
- ✓ طبيعة القيود الإنتقائية.[4]

وعلى الرغم من تعدد المفاهيم والأسس التي بنت النحو التوليدي التحويلي في هذه المرحلة إلاّ أنّ تشومسكي أعاد فيها الإعتبار للمعنى فقد ذهب إلى "أنّ المعنى مثل التركيب يجب أن يخضع للتحليل العلمي الدقيق، وإن الدلالة يجب أن تدرج في التحليل النحوي بوصفها جزءا مكملا لايمكن الاستغناء عنه"[5].

---

(1) – نعمان بوقرة، مرجع سابق، ص150.

(2) – المرجع نفسه، ص ن.

(3) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص231.

(4) – مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص109.

(5) – أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص232/231.

3_ مرحلة النظرية النموذجية الموسعة (1975/ 1985م):

لم يقف تشومسكي عند حدود إنجازاته السابقة، خاصة في ظل الانتقادات الجوهرية التي وجهها علماء الدلالة لنظريته. دفعه ذلك إلى مراجعة منهجه وإجراء تعديلات جذرية تهدف إلى تبسيط القواعد التوليدية التحويلية، ومعالجة الإشكالات المتعلقة بالعلاقة بين التمثيل الدلالي وكل من البنية العميقة والبنية السطحية.

اعتمدت هذه المرحلة على آليتين رئيسيتين للتفسير الدلالي:

1- قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة.

2- قاعدة تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية.[1]

1.3- أبرز التحولات في هذه المرحلة:

يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ✓ أصبحت القواعد التحويلية تطبق فقط بعد ادراج المفردات المستمدة من المعجم ضمن هيكل الجملة في رسم البينة العميقة.
- ✓ أدى هذا التعديل إلى التخلي عن المبدأ السابق الذي كان يربط التحديد الدلالي حصريا بالتركيب العميق؛ مما يعني ان المعنى لم يعد حكرا على البنية العميقة وحسب.
- ✓ نتيجة لذلك، أسقط تشومسكي فرضية كل من كارتز وفودور التي كانت تنص على أن "القواعد التحويلية لاتغير المعنى"[2]. متبنيا رؤية أكثر مرونة لتفاعل النحو مع الدلالة.

شهدت نظرية النحو التوليدي التحويلي فترة من الجمود النسبي في السنوات التي تلت طرح النظرية الموسعة. غير أنّ هذا الركود انكسر عام1980م بنشر كتاب تشومسكي المؤثر(المعرفة اللغوية)، ويعد هذا الكتاب "سلسلة من المحاضرات أنعشت درس تشومسكي القديم وأعطته نفسا جديدا؛ إذ تعرض في هذا الكتاب لنظرية الربط العاملي"[3]

2.3- إسهامات هذه النظرية:

- ✓ ساهمت في توظيح وتصحيح العديد من المفاهيم والمصطلحات التي كانت غامضة في الصيغ السابقة للنظرية التحويلية.
- ✓ التركيز بشكل خاص على إعادة تعريف وتحديد مصطلحي (النحو) و(النحو الكلي)، مما أعطى إطارا نظريا أكثر دقة ووضوح.

---

[1] _نعمان بوقرة، مرجع سابق، ص161.

[2] – المرجع نفسه، ص161.

[3] - المرجع نفسه، ص161.

الفصل الثّاني:

اللّسانيّات العرفانيّة

الفصـــــل الثـاني : اللسانيات العرفانية.

أوّلا:مدخل مفهومي للعرفانيّة.

1- علم النّفس العرفاني.

2- اللّسانيات العرفانيّة ومبادئها.

3- علاقة اللّسانيّات بالعلوم العرفانيّة.

4- العرفانيّة مفهومها و مجال اشتغالها.

ثانيا:مفارقات النّحو العرفاني و النّحو العام.

1- المبادئ العامة للنّحو العرفانيّ.

2- النّحو الذّهني.

3- اللّغة و الذّهن.

ثالثا: هندسة النّحو.

1- النّحو ثالوث خوارزمي.

2- التّصافح ودلالته.

رابعا: التّحوّلات في المفاهيم اللّنحويّة.

1- النّحو مفهوم تصوّري.

2- النحو مفهوم عرفاني.

3- الأبنية النحوية.

خامسا: أوجه التشابه و الاختلاف بين النحو العرفاني و النحو التوليدي.

أوّلا: مدخل مفهوميّ للعرفانيّة:

ينطلق النّحو العرفاني من أبحاث علم النّفس المعرفي الّتي تدرس كيف يستقبل الإنسان محيطه ويصنفه ذهنيا، وهي الأرضيّة الّتي تشكّلت عليها اللّسانيّات العرفانيّة بمبادئها الّتي ترفض القواعد الصّوريّة الصّماء وتربط اللّغة بالتّصوير الذّهني والجسد. هذا المنظور اللّسانيّ يضع اللّغة في قلب العلوم المعرفيّة الأخرى كالفلسفة وعلم الأعصاب، ليتوّج هذا المسار كله بضبط المفهوم العام للعرفانيّة بوصفها دراسة شاملة للذّهن البشري. ومن هذا التّكامل، يكتسب النّحو العرفاني شرعيّته؛ ليتحوّل من مجرّد آلة لتوليد الجمل إلى نظام رمزي وتصوري يعكس آليّات التّفكير البشري وزاويّة نظر المتكلّم.

1-علم النفس العرفنيّ:

يُعد علم النفس العرفنيّ قلب العلوم العرفنيّة ومحرّكها على اختلاف بين الدّارسين نظرياً وعملياً. حيث يعتبره البعض علم النفس مطلقا يضم جميع الفروع، وبعضهم يعتبره فرعا من علم النفس[1].

فهو العلم الذي "يبحث في العمليات الّتي تؤثر في الإنسان وأحاسيسه، وكيفية دخول هذه المعلومات إلى الدماغ، وانتظامها وتخزينها واستعادتها واستخدامها في مجالات الحياة اليومية"[2]. ومجال دراسته "عمليّات العرفنة وأبنيتها من قبيل الإدراك والإنتباه والذّاكرة واللّغة والقصد والنّشاط الفكريّ واللّغوي وما إلى ذلك من مباحث تهمّ الانفعال والشّخصيّة وغيرها ممّا له تفاعل مع سائر الملكات العرفنيّة "[3].

وقد ارتبط ظهور هذا العلم بما يسمّى (الثورة العرفنيّة) في منتصف1950م، وهي ثورة على المدرسة السّلوكيّة الّتي سادت بين عامي(1913و1958م). حيث ركزت هذه المدرسة على ملاحظة السوك الظّاهر فقط واعتبرت العقل (صندوق أسود) لايمكن دراسته، فجاء علم النّفس العرفنيّ وأعاد الإعتبار للمنهج الذهني والقائم على الاستبطان ودراسة العمليات الذهنيّة الدّاخليّة.

وتتميّز العمليّات العرفنيّة بأربعة مبادئ رئيسيّة [4]:

1.1- العمليّات العرفنيّة فاعلة (إيجابية) و ليست منفعلة (سلبية):

ينقض هذا المبدأ التصور السلوكي الذي يرى الإنسان مستجيباً سلبياً للمؤثرات. أمّا علم النّفس العرفنيّ يرى أنّ الإنسان مستجيبا إيجابيا للمثيرات. فالدماغ ليس (إسفنجة) تمتص المعلومات بل هو موطن عمليات عرفنيّة

---

(1) – الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس، د ط ، ص24.

(2) – عبد الحكيم سحالية، أسس اللسانيات العرفانية–المنطلقات والاتجاهات المعاصرة، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، جامعة تيسمسيلت–الجزائر، المجلد 06، العدد02، ديسمبر 2022م، ص32.

(3) – الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص24.

(4) – المرجع نفسه، ص26/ 27.

إيجابية تتضمن البحث المتواصل والتّحليل والتوليف. والذّاكرة هي عمليّة بحث وتحليل وتصنيف وغربلة نشطة لامجرد أداة لتسجيل البيانات.

2.1- العمليات العرفنيّة دقيقة ناجعة:

تتمثل دقة ونجاعة العمليات العرفنية في قدرتها على إنجاز (بالقليل الشيء الكثير)، سواء في الذاكرة أو حل المسائل أو عمليّات الفهم والتّمثيل. فنظراً لأن الدماغ محدود مادياً، فإنه لا يقوم بحفظ الكم الهائل من الوحدات اللغوية (الأصوات والكلمات والأبنية الإعرابية) وتوليفاتها المعقدة بشكل آلي، بل يعتمد آليات ذكية لتجاوز هذه المحدودية. ويظهر هذا جلياً عند الطفل في مرحلة الاكتساب، حيث ينجح في اختيار الصحيح والاحتفاظ به رغم كثرة المتكلمين وتعدد أنماط الخطأ والصواب في محيطه.

3.1- معالجة المعلومات الإثباتية أفضل من معالجة المعلومات المنفيّة:

يتجلى هذا في أن فهم الجمل المثبتة أيسر وأسرع من فهم الجمل المنفية؛ فإدراك عبارة (زيد كريم) يتطلب جهدا أقل من إدراك (زيد ليس ببخيل).كما أن المهام التي تتضمن شحنة عاطفية أو شعورية جيّدة تُعالج بوجه أيسر أفضل من تلك التي تحمل شحنة عاطفيّة سلبية أو محزنة.

وينعكس هذا المبدأ على الإكتساب اللّغوي عند الطفل من خلال ثلاث أوجه:

- ✓ من حيث الطبيعة الإثباتية والسلبيّة في المعطيات اللّغوية فيكون المتحقق في المحيط اللّغويّ مثبتا والممتنع ما لا يتحقق أو لايسمع.
- ✓ من حيث تّوجيهات المحيط الأسري أو الإجتماعي في إثبات عبارة أو نفيها ب (قل كذا) و(لاتقل كذا).
- ✓ من حيث السّمات البنيويّة فيكون الإثبات بمعنى ما في الشيء والنفيّ مالايقبل أو ماليس موجود.

4.1- العمليات العرفنيّة متوازنة مترابطة مندمجة:

تتسم العمليّات العرفانيّة بالتّوازي والإندماج، فكل عملية عرفنيّة عليا تقوم على عمليّات عرفنيّة من درجات دنيا مندمجة على درجات من التّركّب و التّعقّد. وتعمل عبر مسارين متزامنين:

- ✓ **المعالجة الصّاعدة:** مركّبة مؤلّفة توجّهها المعطيات وركيزتها المعلومات الصّادرة عن المنبّهات.
- ✓ **المعالجة النّازلة:** مفكّكة محلّلة توجّهها المفاهيم والتّمثيلات وما يُرتقب في ضوء ما تحفظه الذّاكرة.

2- اللّسانيات العرفانية ومبادئها:

1.2- اللّسانيّات العرفانيّة:

اللّسانيّات العرفنيّة هي "الدراسة العلميّة المنتظمة للألسن البشرية من خلال الوحدات والترتيبات المسؤولة عن تنظيم العمليات الإدراكية وبصفة خاصة: التبويب والتشكيل والتّمثيل والمنطق"[1].

و تُعرَّف اصطلاحا بأنّها "تيّار أو حركة تجمع عددا من النّظريّات الّتي تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنّها مختلفة متنوّعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجّهاتها ومجالات العناية بها"[2] وتنقسم في المطلق إلى اتجاهين كبيرين-متصارعين-الأنحاء العرفنيّة والنحو التّوليديّ في آخر تطوّر له(البرنامج الأدنويّ أو الأدنويّة).

وتُعدُّ اللّغة وفق هذا المنظور "نشاط عرفنيّ في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفنيّة. لذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدّلاليّة العرفنيّة ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفنيّة من قبيل الإدراك والتّذكر والتّصور والعمل والتّجسدن وتمثيل البيئة والسياق...بما يؤول إلى دراسة الأبعاد العرفنيّة في التواصل اللّغوي"[3].

تعدّ اللسانيّات العرفانية فرعا معرفيا حديث النشأة، ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين، وانبنى على النظر في "دراسة العلاقة بين اللّغة البشريّة والذّهن والتجربة بما فيها الاجتماعيّ والماديّ البيئيّ"[4].

وهي من العلوم الحديثة الّتي ترتبط ارتباطا وثيقا "بالدراسات النفسية مثل: علم النّفس، الأنثروبولوجيا، الذكاء الاصطناعي، العلوم الحاسوبية، وكل العلوم الّتي تتصل بالمعرفة والإدراك بشكل عام، فهي تدرس الذّكاء البشري وخلفياته البيولوجية وتجلياته النّفسية وانعكاساته اللّغويّة"[5].

وقد ارتبط ظهورها بأعمال عدد من الباحثين اللّسانيّين أبرزهم فوكونييه وجاكندوف وشارل فيلمور وجورج لايكوف ورونالد لانغاكر الّذين اهتموا بالبحث في علاقة اللّغة بالعقل.

وقد عدل هؤلاء الرواد عن النّهج السّائد خلال سبعينات القرن الماضي الّذي كان يقتصر على دراسة الخصائص الهيكلية للغة. واتفقوا على أن اللغة تُدرس من أجل المعنى، وأن كل البنى اللغوية تخدم الدلالة؛ مما جعل المعنى محورَ مقاربتهم العرفنية، خلافاً لمنهج تشومسكي الذي يركّز على البنية الشكلية للغة.

نهضت اللّسانيات العرفنيّة على نقض جذري للتيارات السابقة غير العرفنيّة في دراسة اللّغة، ولا سيما اللّسانيات الشكليّة، بالخروج عن[6]:

---

(1) – زينب بوطيش، نظرية الفضاءات الذهنية في ضوء اللّسانيات العرفانيّة ، مجلة أفانين الخطاب ، مج 02 ، عدد 01 ، جوان 2022م ، ص 212.

(2) – الأزهر الزناد ، المرجع السابق ، ص 27.

(3) – المرجع نفسه، ص 28/27.

(4) – الأزهر الزناد، النص و الخطاب-مباحث لسانيّة عرفنيّة، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس ، ص 22/21.

(5) – مني فاطيمة الزهراء وبن شيخة نصيرة، هندسة معاني الخطاب اللّساني من منظور التّصور العرفاني – البنية التّصورية و الأفضية الذهنية أنموذجا، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب ، جامعة أحمد زبانة غليزان –الجزائر، مجلد11، عدد 002 ، 2022م ،ص 278.

(6) – الأزهر الزناد ، نظريات لسانية عرفانيّة، المرجع السابق، ص 27.

- ✓ المنهج الإجرائي القائم على الوصف البنيويّ والتّوزيعيّ.
- ✓ المنهج الشكليّ بما في ذلك الأنحاء المركبيّة والتّحويليّة والمقوليّة الرّياضيّة.
- ✓ المنهج المنطقيّ القائم على شروط الصّدق أو الشّروط الضّرورية والكافية.

محدثة بذلك قطيعة ابستمولوجية، إذ ترفض استقلالية النظام اللّغوي، وتذهب إلى أنّ لا انفصال بين المعرفة اللّغويّة والتّفكير العام.

إذا اللّسانيات العرفنيّة تعدّ حقلا بحثيا يدرس العلاقة بين اللّغة والعقل انطلاقا من تصور العقل ك "صندوق يتم فيه كل الأنشطة الذهنيّة الّتي تقوم عليها العلوم العرفانية، ومن بينها علم اللسانيات العرفانية الذي يدرس العمليات العقلية المتصلة باللغة، كإحدى مكونات هذا الصندوق، فتتأثر اللغة بكل خصائص العقل، ونشاطه كسائر العلوم العرفانية، لأنها جزء من هذا النظام العرفاني"[1].

ويكمن جوهر الاختلاف بين التيار العرفاني والنّظرية التّوليديّة في طريقة تصوّر هندسة الدماغ ووظائفه. فبينما تقوم التوليدية "على أساس النّحو الكونيّ، مركوز في عضو ذهنيّ من الدّماغ مخصوص هو اللّغة، فإنّ التّيار العرفنيّ يذهب إلى تجذّر تلك المبادئ الكونيّة في الملكة العرفنيّة فينتفي بذلك وجود عضو ذهنيّ مخصوص باللّغة. فاللّغة مثل سائر الأنشطة الرمزيّة إنّما هي وليدة نشاط عرفنيّ مركوز في المولّدة العرفنيّة العامّة الّتي تمثّل نشاط الدماغ عضوا ماديًّا"[2].

2.2- مبادئ اللسانيات العرفانية:[3]

ترتكز اللسانيات العرفانية على مبدأين أساسيين يُحقّقان توازنها المنهجي في الكشف عن التمثلات الذهنية التي تشتغل على البنية اللغوية الدالة وهما مبدآن سطّرهما لايكوف عام1990م وتبلورا في كتابات عرفانية عديدة وهما:

1.2.2- مبدأ الالتزام بالتعميم:

لا يقتصر هذا الالتزام على طبيعة الممارسة اللغوية وعلاقاتها بمستوياتها النسقية والتركيبية والدلالية والسياقية، بل يمتد ليشمل الأطر العامة التي تُنشئها اللغة مع البنية الذهنية بوصفها نتاجاً للمعرفة المتجددة. وفي هذا السياق يُشير الأزهر الزناد إلى أن هذا المبدأ لا صلة له بالتعميم المعهود الساعي إلى إدراك الخصائص الكلية، فاللسانيات العرفانية ترفض تناول اللغة منظومات مستقلة بعضها عن بعض، وتسعى بدلاً من ذلك إلى دراستها في تفاعلها وتكاملها واشتغالها معاً، وبيان انبثاقها من الأرضية العرفانية العامة.

---

[1] -عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفنية، وكيل كلية التربية جامعة السويس-مصر، رئيس قسم اللغة العربية، حقوق النشر للمؤلف، ص56.

[2] - الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص22/21.

[3] - أنظر، المرجع نفسه، ص33.

2.2.2- مبدأ الالتزام العرفاني:

يقوم هذا المبدأ على توفير توصيف للمبادئ العامة التي تتوافق مع ما أثبتته العلوم الأخرى عن العقل والدماغ. ويُعرّفه الأزهر الزناد بأنه السعي إلى إقامة حقائق لغوية توافق مع الحقائق المعرفية الثابتة في سائر العلوم العرفانية، مؤكداً أنه لا يستقيم أي تعميم في شأن اللغة ما لم يستقم من زاوية معرفية عامة.

ومن المباديء الأخرى الّتي وجّهت الدّرس اللّساني العرفنيّ عامة وعليه قامت بعض النّظريات:

3.2.2- مبدأ الفرضيّة الرمزيّة:

تقوم على اعتبار اللغة نظاماً يجمع بين الصوت والمعنى، وأن النحو ليس سوى تنظيم لهذا التقارن الرمزي على درجات متفاوتة من التركيب والبناء.

4.2.2- مبدأ الفرضيّة القائمة على الاستعمال:

ترى أن النحو الذهني عند الفرد ليس سوى تجريد مستخلص من استعمالات متعددة في الواقع، ومن ثَمّ لا يمكن الفصل بين المعرفة والاستعمال كما هو الشأن في النحو التوليدي الذي يُميّز بين النحو المضمر والمظهر، أو بين القدرة والإنجاز. وعلى النقيض من ذلك، ترى هذه الفرضية أن المعرفة هي الاستعمال ذاته، وأن ما يعرفه المتكلم باللغة هو ما اعتاد استعماله.

وهكذا تُسهم هذه المراحل العلمية العرفانية القائمة على الوظيفة العلائقية بين اللغة وما يملكه العقل البشري من قدرات على الإدراك والتفسير والتخطيط إسهاماً بالغاً في تأسيس رؤية لسانية متكاملة.

3.2- علاقة اللسانيات بالعلوم العرفانية:

تتّسم العلاقة بين اللسانيات العرفية والعلوم العرفية بطابع التبادل والتفاعل، وهي علاقة يمكن تناولها من زاويتين متكاملتين: إفادة اللسانيات العرفية من العلوم العرفية، وإسهامها فيها في المقابل.

الزاوية الأولى: ما تستفيده اللسانيات العرفية من العلوم العرفية.

تستمدّ اللسانيات العرفية رصيدها المفاهيمي من ثلاثة روافد رئيسية.

- ✓ فمن علم النفس العرفي والعلوم العرفية عامة تستعير مفاهيم باتت ركائز في مختلف النظريات،"من قبيل الخطاطة والتّصوير الذّهنيّ والجشطلت والمسح والطّراز ونظرية الإبصار، وهي مفاهيم وظّفها لانقاكر ولايكوف وطالي وجاكندوف في بناء تصوّراتهم اللسانية
- ✓ ومن الحاسوبية تستعير مفاهيم الحوسبة واللّمة وأنواع الذاكرة الحاسوبية كما عند جاكندوف وتشومسكي.
- ✓ ومن علوم الدماغ تأخذ مفاهيم الشّبكيّة والتّرابطات والتّوزّع والتّزامن في المعالجة"[1]

[1] – أنظر، الأزهر الزناد، المرجع سابق، ص32.

غير أن اللسانيات العرفية لا تقف موقف المتلقّي السلبي، بل تُعيد إلى هذه العلوم نتائجها وتحليلاتها، فتغدو العلاقة بينها شراكةً معرفية لا استعارةً أحادية.

الزاوية الثانية: ما تسهم به اللسانيات العرفية في المباحث العرفية: يتجلّى هذا الإسهام في مستويين.

المستوى النظري: فيمثّله تشومسكي أبرز تمثيل، إذ يُطوّر علاقة الملكة اللغوية بالذهن أو الذهن/الدماغ، ذاهباً إلى أنها عضو ذهني، ويُرسّخ الصلة بين اللسانيات وعلم النفس.

المستوى المنهجي: فيتمثّل في ردّ النشاط اللغوي إلى أرضيته الذهنية العصبية، وجعل اللغة مهارةً من جملة المهارات العرفية البشرية محكومةً بمبادئ عرفية عامة، لا بمبادئ لسانية خاصة بها دون سائر الملكات.

وبهذا التصوّر تغدو اللغة، في حركتها واشتغالها، مدخلاً رحباً لفهم مظاهر العرفية البشرية طبيعةً وتحوّلاً ونشوءاً واكتساباً، وهو ما تقصر دونه المداخل الشكلية التقليدية [1].

4.2- مفهوم العرفانية ومجال اشتغالها:

يعد مصطلح العرفانية من المصطلحات التي حضيت بتعدد دلالي وتنوع في الاستخدام كما اختلفت معانيها باختلاف المرجعيات الفكرية و الثقافية، وفي هذا السياق، سنركز على المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

1.4- لغة:

جاء في لسان العرب "عَرَفَ: اَلْعِرْفَانُ: العلم...عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عِرْفَةً وَعِرْفَانًا وَعِرِفَّانًا وَمَعْرِفَةً وِاعْتَرَفَهُ...ورجل عَرُوفٌ: وَعَرُوفَة: عَارِفٌ يَعْرِفُ الأُمُورَ، وَلَايُنْكِر أَحَدًا رآه مرةً...والعَرِيفُ والعَارِفُ بمعنى مثل عَلِيم وعَالِم...والجمع عُرَفَاء..."[2].

وفي المعجم الوسيط "(عَرَفَ) فلانٌ على القوم-عِرَافَةً: دَبَّرَ أَمرهم وقام بسياستهم. و-الشيءَ-عِرْفَانًا، وَعِرِفَّانًا، ومَعْرِفَةً: أدركه بِحَاسَّةٍ من حَوَاسِّهِ. فَهُوَ عَارِفٌ، وعَرِيفٌ"[3].

ورد في كتاب (المفردات في غريب القرآن) للأصفهاني: "اَلْمَعْرِفَةُ وَاَلْعِرْفَانُ: إِدْرَاكُ الشَّيءِ بِتَفَكُّر وَتَدَبُّر لِأَثَرِه، وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ اَلْعِلْمِ، وَيُضَادُّهُ اَلْإِنْكَارُ، وَيُقَالُ فُلَانٌ يَعْرِفُ الله وَلَا يُقَالُ يَعْلَمُ الله مُتَعَدِّيًا إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، لَمَّا كَانَ مَعْرِفَةُ اَلْبَشَرِ لله هِيَ بِتَدَبُّرِ آثَارِهِ دُونَ إِدْرَاكِ ذَاتِهِ، وَيُقَالُ الله يَعْلَمُ كَذَا وَلَا يُقَالُ يَعْرِفُ كَذَا لَمَّا كَانَتْ اَلْمَعْرِفَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي اَلْعِلْمِ اَلْقَاصِرِ اَلْمُتَوَصَّلِ إِلَيْهِ بِتَفَكُّرٍ"[4].

يتضح من التعاريف السابقة أن (العرفان) ليس مجرد إدراكٍ بسيطٍ أو أولي للشيء، بل هو عملية عقلية تعتمد على استحضار خبرةٍ سابقةٍ مخزونةٍ في الذاكرة؛ فعندما يواجه الإنسان موقفاً جديداً، يستعيد ذهنه آثار التجارب الماضية ويقارنها بالواقع ليتوصل إلى الفهم واليقين. وبناءً على ذلك، فالمعرفة هي في الأساس(استرجاعٌ

---

[1] – أنظر، الازهر الزناد، نظريات لسانية عرفنيّة، مرجع سابق، ص34/33.

[2] – ابن منظور، مرجع سابق، مج09، ص236.

[3] – إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج2، ط2، 1972م، ص595.

[4]– الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز،ج1، د ت، ص431.

واستدلال) وليست تعلُّماً جديداً يبدأ من الصفر، وهذا ما يجعلها أخصّ وأدق من (العلم) الذي قد يكون عاماً أو مبتدأً. وقد لخص الراغب الأصفهاني هذه الفكرة بقوله إن المعرفة تُدرك بالتفكر في (الأثر)، أي أن ما نحتفظ به في ذاكرتنا يعمل كجسرٍ يربط بين التجربة الجديدة وبين الوصول إلى الحقيقة.

2.4- إصطلاحا:

يعرف عطية سليمان أحمد العرفان بقوله: "هو العرفان الطبيعي المترسخ في خصائص الدماغ والمجاوز للوعي والإدراك والصالح موضوعا للدراسة العلمية"[1]؛ أي أنّ العرفان قدرة فطرية راسخة في الدماغ البشري، تعمل في مستوى يتجاوز الوعي والإدراك العادي، ومع ذلك تبقى قابلة للدراسة العلمية الموضوعية.

ويرى الزّناد أنّ: "العرفنة بكونها معالجة المعلومات في الدماغ، وما تفعله العرفنة يتمثل في تمكين الفرد من السلوك الذكي، من قبيل حل المشكلات، وفهم الأشياء، وتشتغل العرفنة اشتغال الحاسوب حيث تشفر المعلومات في شكل تمثيلي رمزي، تعمل عليه قواعد تشبه الخوارزمات"[2]. يُقدّم الزّناد العرفنة في صورة آلية وظيفية واضحة، إذ يشبّهها بعمل الحاسوب في معالجة المعلومات، وهو تعريف دقيق ومنهجي يُبرز الجانب العملي للعرفنة في تمكين الإنسان من التصرف الذكي وحل المشكلات. غير أن هذا التعريف يُؤخذ عليه اختزاله للعقل البشري في مجرد آلة حاسوبية، متجاهلاً الأبعاد العاطفية والإبداعية والروحية التي تميز الإنسان عن الآلة، فالعقل البشري أوسع وأعمق من مجرد خوارزمات ومعالجة رمزية.

ثانيا: مفارقات النّحو العرفانيّ والنّحو العام:

1- المبادئ العامة للنحو العرفاني: والتي من أهمها:[3]

1.1- الوظيفة الرمزية للغة: يركز النحو العرفاني على مبدأ إدراك الوظيفة الرّمزيّة الّتي للغة، أي التجاء المتكلم إلى سلاسل أو متتاليات صوتيّة تستعمل رموزاً للتصورات الذهنية وذلك عبر ثلاث مستويات مترابطة:

- ✓ الوحدات الفونولوجية (الصوتية).
- ✓ والوحدات الدلالية (المعنوية)
- ✓ الوحدات الرمزية: والّتي تتمثل في عملية الجمع والربط بين وحدة دلالية معنوية ووحدة فونولوجية في آنٍ واحد.

وعليه فإنّ (الوحدة الرمزية) هي المحصلة الناتجة عن هذا التداخل، مما يجعل كل صيغة أو تركيب نحوي يحمل دلالة ومعنى خاصين، وغالبا مايتسم هذا المعنى بالقدرة على التجريد، متجاوزا مجرد الدلالة المعجمية المفردة.

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ظل النظرية العرفانية، كلية الآداب،جامعة السويس، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة–مصر، 2004م، ص54.

[2]- الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص34.

[3] - عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني-نظرية رونالد لانقاكر، مسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان-تونس، ط1، 2010م، ص37/36.

2.1- المعنى هو التصور: أي أنّ المعنى والتّصور شيء واحد لاينفصلان؛ فكل عبارة لغوية ترسم صورة ذهنية محددة، وهذه الصورة هي معناها الحقيقي. وبذلك، يركز التحليل الدّلالي فقط على كشف الطريقة الّتي تبنى بها العبارة هذه الصورة في الذّهن.

3.1- البنية السطحية جزء من التنظيم التّصوّري الذّهني: لاتعد البنية السطحية للعبارة مجرد غلاق لفظي، بل هي مرآة تعكس تنظيماً ذهنياً عرفانياً خاصاً. فاختلاف الصيغ والتراكيب وتنوعها إنما يعكسان الفوارق القائمة بينها، ويمثلان تجلّيا للاختلافات التصورية الّتي تميّز بينها. وهكذا لا يمكن لتحليل الشكل أو الصيغة أن يتصور بمعزل عن دراسة المعنى وتحليله، وعليه فدراسة المعنى هى الغاية الأولى و الأخيرة للسانيات في نظر العرفانيين[1].

2- النحو الذهني:

يُعدّ النحو الذهني أحد أبرز المفاهيم في اللسانيات العرفنيّة والتّوليدية، وهو يشير إلى الملكة اللغوية المخزنة في الدماغ، والتي تمكّن الإنسان من إنتاج وفهم عدد لانهائي من الجمل "يسعى تشومسكي إلى تحديد العوامل الكامنة وراء إمكانيات التّعبير المتناهيّة (اللّامحدودة) في اللغة: فكلّ شخص ينتج ما لا نهاية له من الجمل ويفهمها وإن لم يسمعها من قبل في حياته. فهو يستبطن طريقة في التوليف بين عدد محدود من العناصر المحفوظة في الذاكرة. تلك هيّ الملكة اللّغويّة"[2] .

و تنقسم الملكة اللّغوية إلى قسمين في الذهن[3]:

- ✓ **المعجم الذهني**: الّذي يحتوي على عدد محدود من الوحدات (الكلمات والمورفيمات)
- ✓ **النحو الذهني**: الّذي يمثل النظام الحوسبي المحدود الذي يُنتج بنى تركيبية لا نهائية.

في هذا الاطار يتبلور الحديث حول ثلاث مواقف رئيسية تتناول العلاقة بين النحو الذهنيّ بالمعالجة:[4]

1.2- موقف انفصالي: وهو أضعفها يرى أنّ لا وجود لعلاقة ضرورية بين مبادئ التّوليف النّحويّة ومباديء المعالجة؛ فالنحو وصف شكلي محض للظواهر اللّغويّة، والمعالجة من طبيعة أخرى، ومن ثمّ تفصل اللّسانيّات عن علم النّفس اللّغوي.

2.2- موقف تكاملي: يقوم على أنّ قواعد النحو الذهني مخزنة في الذاكرة طويلة المدى يستدعيها نظام المعالجة عند تحليل الجملة، فيكون النّحو الذهنيّ مكوّناً إثباتياً ضمن النظام الحاسوبيّ للعقل.

---

(1) – عبد الجبار بن غريبة، المرجع السابق، ص37.

(2) – الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة، ص51/50

(3) – أنظر، المرجع نفسه، ص51.

(4) – أنظر، المرجع نفسه، ص ن.

3.2- موقف اندماج جزئي: وهو الأقوى، يرى أن قواعد النّحو الذّهنيّ تتضمّنها عمليّات المعالجة ذاتها فهي جزء لا يتجزأ منها وتمثل هذه القواعد تعاليم تقود بناء الجمل وفهمها، بما يتوافق مع نماذج الذاكرة التراتبية في علم الحاسوب.

3- اللّغة والذّهن:

تعتبر اللّغة والذّهن وجهان لعملة واحدة؛ فاللّغة هي الأداة الّتي نجسّد بها أفكارنا غير المرئيّة، والذّهن هو المصنع الّذي يبتكر المعاني والدّلالات.

1.3- مفهوم عضويّة الذهن وثنائيّة (الذّهن/الدّماغ):

ويمثّل الذّهن في أدبيّات تشومسكي(منذ 1979م) نظاما معقدا يتكوّن من مجموعة ملكات متفاعلة تُعرف بالأعضاء الذّهنيّة، وذلك قياسا على أعضاء الجسم الماديّة؛ وهي أعضاء منتظمة تنمو وتحدد وظائفها وبنيتها وفق برنامج جيني محدد، وفي ضوء مايحدث لها من تفاعل مع البيئة. ويتردّد في كتابات تشومسكي استعمال مصطلح ثنائيّة (ذهن/دماغ)؛ وهو استخدام إشاري يقصد به دلالة عضويّة الذّهن وذهنيّة الدّماغ، فالدّماغ يمثل العضو الفيزيائي الواقعي، بينما يشكل الذّهن نظاما رمزيا كاملا يمثّل الوظيفة الحيويّة لهذا العضو[1].

2.3- المماثلة البيولوجيّة و الخصوصيّة الوظيفيّة للغة:

تنطلق الحجج المؤيّدة لتصوّر تشومسكي من المقارنة المباشرة بين الأعضاء الفيزيائيّة (كالقلب، والدماغ، والكبد) و الأعضاء الذّهنيّة؛ فالبرغم من تباين هذه الأعضاء في وظيفتها وبنيتها المخصوصة، إلّا أنّها تشترك في كونها خلايا تخضع لنفس الوظائف الاستقلاليّة، وتنمو وفق مخطّطات وقيود وراثيّة موحدة تدرسها علوم الحياة على مستوى خلويّ وتطوري مشترك[2].

وينطبق هذا المبدأ البيولوجي تماماً على الملكات الذهنية؛ فاللغة، والإبصار، والتحكم الحركي، هي ملكات متميزة بوظائفها ومواقعها داخل الدماغ، ولكل منها خصائصها الذاتية المفرَدة .

فاللغة على سبيل المثال:

- تتمايز متفردة بالقطع الصوتميّة وبالأسماء، مقابل تفرد الإبصار بالألوان .
- تحلُّ-كسائر الملكات-في خلايا عصبية تمتلك نفس البنية والتخطيط العام.
- تطورت في اتجاه التخصص الوظيفي انطلاقاً من أساس خلوي جيني مشترك لا تخصص فيه، وهو ما يفرض علمياً وجوب البحث عن قيود الاكتساب والتعلم بصفة عامة في هذا المستوى الخلوي (وفق طروحات جاكندوف 1997م)[3] .

---

(1) – الأزهر الزّناد، المرجع السابق، ص53.

(2) – أنظر، المرجع نفسه، ص ن.

(3) – أنظر، المرجع نفسه، ص54/53.

3.3- فرضية النحو الكوني والمنشأ البيولوجي للغة:

تُعد فرضية النحو الكوني أساس لإقامة نظرية نفسية بيولوجية موحّدة، تهدف إلى تقليص المسافة الفاصلة بين الأساس غير اللغوي (الخالي من اللغة) وما آل إليه التطور البشري باستحداث ملكة اللغة في الدماغ.

وقد كشفت دراسة ظاهرة الاكتساب اللغوي-بما تتضمنه من مظاهر نحوية ونفسية ونموية، وما يوازيها من تفرعات عصبية-أن التطور في اتجاه اللغة لم يتحقق عبر توسيع الدماغ البدائي كمساحة فيزيائية (خلافاً لما ذهب إليه "فود" 1980م)؛ وإنما تحقق التطور اللغوي بفضل حصول وظائف حادثة وطارئة تؤديها أبنية بيولوجية لم تكن اللغة في الأصل من وظائفها الأساسية[1].

ثالثا: هندسة النحو العرفانيّ:

يستند الأزهر الزّناد في تناوله لهندسة النحو إلى المنجز النظري الّذي أرساه جاكندوف، إذ يعرض جملة من النّظريات المتصلة ببنيّة النّحو وآليّات اشتغاله. و تقوم هذه النّظريات على تصوّر النّحو بوصفه "خوازميّة تشتغل على أساس التّوازي مكوناتها ثالوث يضمّ الدّلالة والإعراب والصّوتميّة. وكل واحد من هذا الثالوث نحو توليدي في ذاته؛ أي له أوّليّاته الخاصّة به ومباديء التّوليف بينها"[2].

1- النحو ثالوث خوارزمي:

يقرّ الزّناد نقلا عن جاكندوف أنّ النّحو ليس نظاما أحاديا مركزيا تخضع له سائر المستويات اللّغوية، بل هو منظومة متوازيّة من ثلاثة مكوّنات متكافئة هي:

1.1- الصّوتميّة: وتعنى بالبنية الصوتية من أصوات وإيقاع ونبر وتنغيم وهي "نوع من الإنتظام الذّهني يختلف عن كل التّوجيهات الّتي يفرضها جهاز التّصويت وعن كلّ النّماذج السمعية أيضا"[3].

2.1- الإعراب: وهو البنية التركيبية التي تتعامل مع التراكيب والعلاقات النحوية.

3.1- الدّلالة: وهي البنية التصورية التي تتعامل مع المعنى والتمثّلات المعرفيّة.

تتفاعل المكونات الثلاثة باستقلالية، فلا يهيمن أحدها على الآخر ولا يُشتق منه، بل ترتبط بـ«قيود تصافح» تقوم على مبدأ التناسب.

---

(1) – أنظر، الأزهر الزّناد، المرجع نفسه، ص54.

(2) – الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنيّة، مرجع سابق، ص65.

(3)– بن صوف مجدي، الملكات الذّهنيّة ودورها في اكتساب اللّغة –مقاربة عرفانيّة، مجلة اللّسانيّات، مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة، الجزائر، المجلد29، العدد02، ديسمبر2023م، ص41.

نحو جاكندوف ـ نموذج التّوازي

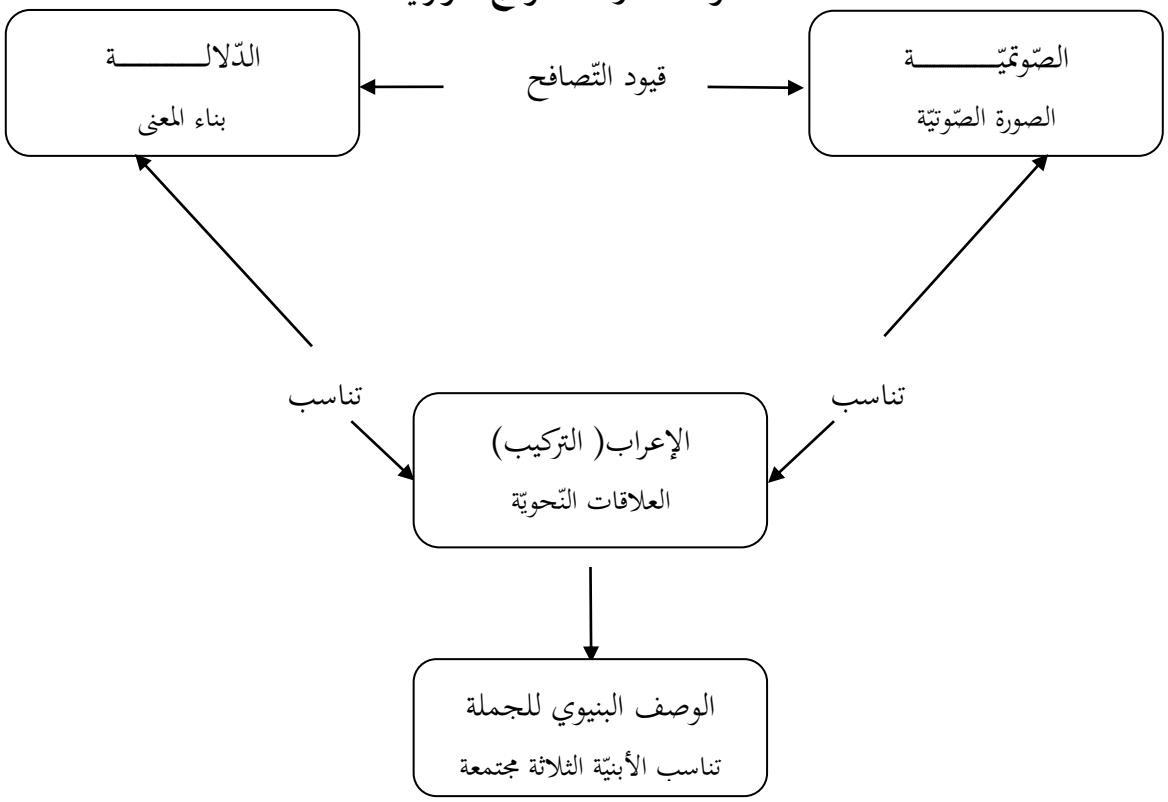

كل مكوّن نحو توليدي مستقل بأوّليّاته ومباديء توليفه.

فعندما نقول مثلاً (الكرة تحت الطاولة)، فإن:

- ✓ المستوى الصوتي: ينتج الأصوات والنطق.
- ✓ المستوى النحوي: يرتب الكلمات (اسم+ ظرف مكان+ اسم).
- ✓ المستوى الدلالي/التصوري: يبني صورة ذهنية (مفهوم المكان والعلاقة بين الجسمين).

هذه المستويات الثلاثة تعمل بالتوازي وليست تابعة للنحو فقط، وترتبط عبر قيود التصافح.فالنحو في تصور "جاكندوف" مجموعة من العناصر و التي يطلق عليها باسم "الثالوث الخوارزمي" حيث يكون أساسه التّوازي و قوامه الوحيد التّصافح على أساس التّناسب بين المعطيات و المكونات المتصافحة.

2- التّصافح و دلالته.

يحدد الزّناد مفهوم التّصافح تحديدا جوهريا، مقرّا بأنّ "التّصافح عند جاكندوف وريث لفكرة التأويل التّام في مستوى الشكل الصّوتيّ ومستوى الشّكل المنطقيّ في النّحو التّوليدي"[1]. فالتّصافح عند "جاكندوف" امتدادا نظريا لفكرة التأويل التّام التي أرسى دعائمها النحو التوليدي على مستوييه الصوتي و المنطقي، وإن كان تشومسكي قد وظّف هذا المفهوم في سياقات متعددة تتباين في درجة ضبطها وتحديدها.

1.2- أركان التّصافح:

وتقوم هندسة التّصافح على أساس محكم من النّاحية البنيوية؛ إذ لايتحقق التّصافح في تصوّر جاكندوف إلاّ بتوافر ثلاثة أركان لاغنى عن أحدها ألا وهي: [2]

1.1.2- الصفيح الأوّل:

وهو النظام المصدرُ أو جملة التمثيلات التي يتضمّنها ذلك النظام، والتي يشتغل عليها التصافح. وهذا الصفيح يمثّل المدخل الأول لعملية التناسب، إذ تنطلق منه قواعد التّصافح لاستخراج نظائر عناصره في الصفيح المقابل.

2.1.2- الصفيح الثاني:

وهو النظامُ الهدفُ أو جملةُ التمثيلات التي يتضمَّنها ذلك النظام، والتي يَنشَط عليها التصافح من الجهة المقابلة. وتُسقَطُ عليه عناصرُ الصفيح الأوَّل وفق قواعد التناسب المحكَمة.

3.1.2- قواعد التناسب:

وهي القواعدُ التي تتوسَّطُ بين الصفيحين وتُحقِّقُ التصافحَ فعلياً على أرض الواقع. وتعمل هذه القواعدُ في الاتجاهين معاً، إذ تُحوِّلُ عناصرَ الصفيح الأوَّل إلى نظائرها في الصفيح الثاني-والعكس-واحداً بواحد، وبصورةٍ منتظمةٍ لا اعتباط فيها. ولا تُعدُّ هذه القواعدُ جامدةً أو ثانويةً، بل تُشكِّلُ جزءاً أصيلاً من النحو الذهني، حتى وإنْ كان أحدُ الطرفين المتصافحين -كالبنية المفهومية-خارجَ اللغة الصرف

ويجدر التنبيهُ إلى أنَّ العلاقةَ بين الصفيحين ليست علاقةَ تبعيَّةٍ أو اشتقاقٍ، بل هي علاقةُ "تكافؤٍ وتناسبٍ"؛ مما يعني أنَّ كلًّا منهما يحتفظُ باستقلاليته البنيوية الكاملة، ولا يُسَلِّمُ سيادته للآخر. وهذا المبدأ هو الذي يُميِّزُ نظريةَ جاكندوف عن التصوُّرات التقليدية التي تَفترضُ تدرُّجاً خطِّياً بين المستويات اللغوية.

---

[1] - الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنيّة، مرجع سابق، ص 66.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

مثال: نطق حرف (م) كما في كلمة (ماء).

الركن	المثال البسيط
الصّفيح الأوّل: الصّورة الذّهنيّة	صورة صوت(م) في الذّهن (صوت شفوي، أنفي)
الصّفيح الثّاني: الأوامر الحركيّة للعضلات	أمر للشّفتين بالإغلاق+ أمر للهواء بالخروج من الأنف
قواعد التّناسب: القواعد الّتي تربط بينهما بدقّة	كل خاصيّة في الصوت (م) لها أمر حركي مطابق تماما.

2.2- أنواع التّصافح:

قد تطرّق الأزهر الزناد في معرض عرضه لنظرية جاكندوف إلى جملة من أنواع التصافحات التي تُشكّل في مجموعها منظومة متكاملة تُفسّر آليات اشتغال النحو على مستوياته المختلفة تمثلت في مايلي:

1.2.2- التصافحات النطقية-الإدراكية:

يرى الزّناد أنّ "إحداث الأصوات (أو التّقطيع) في جملة من الأوامر الحركيّة تتشكل في الدّماغ بناء على تمثيلات صوتميّة وتصدر إلى أعضاء النّطق والتّصويت فتحققها في شكل نشاط عضليّ حركيّ تكون به الأصوات المنطوقة مسموعة. وهذه الأوامر ليست لغويّة في طبيعتها وإنّما هي إنعكاس لتلك التمثلات في شكل حركيّ-عضليّ. وفي هذا المستوى يكون تحوّل التمثيلات إلى أوامر عصبية، وهذا مظهر تصافحيّ أساسيّ، ومقابل هذا يكون الإدراك السّمعيّ تحويلاً للأصوات إلى تمثيلات صوتية »[1].

ويشير الزّناد إلى أن مفهوم التحويل عند جاكندوف يختلف اختلافاً جوهرياً عن نظيره في النحو التوليدي، إذ لا يعني الإقحام أو النقل أو التغيير كما هو متداول في مصطلح التحويلات العربية، وإنما يعني "مطابقة بين عناصر تمثيل صوتيّ وعناصر من أوامر عصبيّة نطقيّة على أساس التّناسب واحداً بواحد"[2]. فمثلا إذا كان في الذهن تمثيل لصوت"ب"، فهو يتضمّن جميع الخصائص الصوتية التي هي هوية هذا الصّوتم، فإذا همّ المتكلم بنطقه صدرت أوامر عصبية دقيقة تُحرّك عضلات بعينها للقيام بحركات محدّدة كانقباض الشفتين وانغلاق الغشاء والضغط النفسي ثم نزيز الحبال الصوتية. فالتناسب بين هذه الحركات كلٌّ بأمره العصبي والسمات كلٌّ بأمره العصبي يمثّل تصافحاً تتحوّل بمقتضاه الثانية إلى الأولى بالتّناسب.

ويقتضي التصافح الصوتي-الحركي ثلاثة مكوّنات متكاملة:[3]

---

(1) – الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص66

(2) – المرجع نفسه، ص67

(3) – المرجع نفسه، ص ن.

- ✓ **صفيح صوتي** :مجموعة من التمثيلات الصوتية الجاهزة للتأويل الحركي، وهو مستوى الصوتميّة/الأصوات.
- ✓ **صفيح حركي** :مجموعة من التمثيلات الحركية تُسقَط عليها التمثيلات الصّوتيّة، وهو مستوى التمثيلات الحركية.
- ✓ **قواعد التناسب** :تتوسّط بين الصفيحين لقيام الترابط بين العناصر في كل منهما ليستوي التّصافح.

2.2.2- التصافح الصّوتميّ الإعرابيّ:

يقوم التصافح الصوتي-الإعرابي على "المزاوجة بين الوصف البنيوي الإعرابيّ والوصف البنيويّ الصّوتميّ في كل قول، فالتّنغيم مقيَّد وليس مشتقّاً منها"[1]. فالجملة الاستفهامية لها تنغيم خاص يختلف عن تنغيم الجملة الخبرية، وهذا التنغيم لا يُنتَج باستقلال تام عن البنية الإعرابية ولا هو مشتق منها، بل هو مرتبط بها ارتباط التناسب والتصافح. وهذا التمييز الدقيق بين التقييد والاشتقاق هو جوهر هذا النوع من التصافح، لأنه يُثبت استقلالية كل مستوى مع إقراره بضرورة التناسب بينهما.

3.2.2- التّصافح المفهومي-الإعرابيّ:[2]

يُجري جاكندوف تمييزاً دقيقاً بين البنية المفهومية والبنية الإعرابية، منطلقاً من المفهوم الشومسكي للنظام المفهومي-القصدي بوصفه موطن التفكير والتخطيط والتذكّر وتكوّن المقاصد، وهو ما يُعرف في الدراسات العرفانية بـ"النظام العرفاني". وتُشكّل البنية المفهومية المستوى التمثيلي المركزي في هذا النظام، وأوليّاتها وحدات ذهنية تمثيلية تشمل الأشياء المادية والأحداث والخصائص والأزمنة والكمّيات والمقاصد.

ويكون التصافح بين البنيتين المفهومية والإعرابية على أساس قواعد التناسب التي تربط البنية السلّمية في كل منهما بنظيرتها في الأخرى؛ فعلاقة الرأس بالمتمّم في الإعراب تُناسب علاقة المسند بمتعلّقاته في البنية المفهومية، وعلاقة الرأس بالمضاف تُناسب علاقة المسنَد بالمتغيّر المحدود.

ويُطابق هذا التصافح وظيفياً ما تُسمّيه النظرية التوليدية "الشكل المنطقي". وعلى الرغم من أن البنية المفهومية ليست جزءاً من اللغة في ذاتها، فإن قواعد التناسب في التصافح تُشكّل جزءاً أصيلاً من النحو.

ومن أبلغ الشواهد على عمل هذا التصافح ظاهرتا البؤرة والمحور في البنية الإخبارية؛ إذ تتحقّقان بأدوات صوتية كالتبتير والتنغيم فتُحدثان أثراً ظاهراً في البنية الإعرابية، وحين تتحقّقان بأدوات إعرابية كالتقديم والتأخير، فإنهما تستلزمان في كل الأحوال تبتيراً وتنغيماً مصاحبَين، مما يُثبت أن المستويات الثلاثة تعمل في منظومة تصافحية واحدة متكاملة لا في مستويات منفصلة متتالية.

---

[1] – الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص68.

[2]- الأزهر الزناد، المرجع نفسه، ص69/68.

رابعا: التّحوّلات في المفاهيم النّحويّة:

1- النّحو مفهوم تصوّري:

1.1- منطلقات وركائز النّحو التّصوّري:

يعدّ النّحو في المنظور العرفاني اتّجاها نفسيا وعصبيًّا متجاوزا الطروحات البنيوية التّوليديّة الّتي حصرت الظاهرة اللّغويّة في قوالب صورية جافة؛ إذ يفسره "رونالد لانقاكر" بوصفه "ظاهرة لغويّة نفسيّة عصبيّة تتمّ في مراكز المخ المختلفة الّتي تربطها علاقات تفاعل وتكامل، لتتمّ عمليّة فهم الكلام وتفسيره؛ فهو يرى النّحو عمليّة تصوّريّة يقوم المخ بها"[1].

وبناء على هذا التّصوّر، فإن النّحو والمعجم لاينفصلان، بل يمثلان امتدادا واحدا واسترسالا متصلا من الوحدات الرّمزيّة الّتي تُنضِّد المضامين المفهوميّة وتمنحها ترميزها اللّسانيّ؛ فالنّحو في جوهره بنيّة تصوريّة بالأساس[2].

ولضبط هذه النّظريّة، اعتمد "لانقاكر" على مفهوم "التّصوير" في تحليل المعنى مستندا إلى أربع ركائز أساسيّة، منها:[3]

- ✓ خالف التّوجّه اللّسانيّ الّذي يرى في الإعراب المكوّن الرئيسي، و ذهب إلى نقيض هذا الرأى بقوله إنّه لا يمكن الفصل بين الإعراب و الدّلالة.
- ✓ الوصف اللّسانيّ لايتجزّأ، فلا بد أن تصف النّظريّة اللّسانيّة وصفا متكاملا كل ظواهر البنيّة اللّغويّة.
- ✓ لا يمكن عزل اللّغة عن بقيّة الظّواهر العرفانيّة، فهي جزء من العرفان البشري.
- ✓ لايمكن الفصل في المعالجة العرفانيّة بين الملكة اللّغويّة و المظاهر النّفسيّة.

وتتأسس هذه النظريّة على فكرة أنّ الإنسان يمتلك قدرات ذهنيّة عامة غير مقصورة على اللّغة وحدها، بل تتصل بكيفيّة إدراكه للعالم من حوله؛ حيث يرى "لانقاكر" أنّنا "قادرون مثلا، على التبئير وعلى تحويل الانتباه، وعلى متابعة شيء متنقّل، وعلى تكوين الصّور ومعالجتها، وعلى المقارنة بين تجربتين...وعلى رؤية مشهد من زوايا نظر مختلفة"[4]

ومن هذا المنطلق لايصبح المعنى اللّغوي مجرد منتج نهائي ثابت، بل هو عمليّة المفهمة والتّصور الذّهني الحركي والتّفاعليّ في حد ذاتها؛ إذ يذهب "لانقاكر" إلى أنّ "المعنى يتماهى مع التّصور(...)فهو يتضمن مثلا كلاً من التّجارب الحسيّة والتّجارب العاطفيّة والتّجارب الحركيّة العفويّة، كما تتضمن تصور المتكلم لما هو اجتماعي

---

(1)- مها المطيري، الدلالة (تمثيل المعنى) في اللّسانيّات العرفانيّة (منوال لانقاكر أنموذجا-دراسة لسانيّة تحليليّة)، المجلة العربيّة للآداب و الدّراسات الإنسانيّة، المؤسّسة العربيّة للتربيّة و العلوم و الآداب، مصر، المجلد09، العدد36، جانفي 2025م، ص 494.

(2) - ينظر، الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفانيّة، ص100.

(3) - مها المطيري، نفس المرجعن ص494.

(4) - الأزهر الزّناد،مدخل في النّحو العرفيّ، مرجع نفسه، ص24.

وثقافي وأيضا المقام اللّسانيّ"[1]. وبذلك يتجاوز المضمون التّصوّري حدود اللّفظ المنطوق ليستوعب المقام بأكمله، فالمعنى عند لانقاكر "ليس هو المتصوّر الحاصل من عمليّة التّصوّر، بل هو عمليّة التّصور في حدّ ذاتها"[2].

2.1- المجالات الذّهنيّة و أبعاد الإنبناء التّصوّري:

1.2.1_ المجالات الذهنيّة:

تنقسم المجالات الذّهنيّة الّتي تحضن هذا المضمون التّصوّري وتمنحه سياقه المعرفي إلى صنفين:[3]

1.1.2.1_ مجال أساسي: وهو غير قابل للاختزال عرفنيا، ولا هو قابل لأن يشتق من تصوّرات أخرى كالزّمان والمكان.

2.1.2.1_ مجال غير أساسي: الّذي تندرج تحته التّصوّرات سواء أكانت حسيّة أو فكريّة، سكونيّة أو حركيّة، ثابتة أو جديدة، بسيطة أو مركبة.

ويرتبط هذا المضمون بما يعرف بالبناء التّصوّري أو "الانبناء" وهو يعكس "قدرتنا الظاهرة على أنّ نتصوّر ونصف الوضعيّة الواحدة بطرق متنوّعة بعضها بديل من بعض"[4]. فالموارد الرّمزيّة في اللّغة توفر عددا كبيرا من الصورة البديلة لوصف مشهد ما، ممّا يتيح التّحول من صورة إلى أخرى بيسر؛ وتعدّد الجمل أو أشكال التّعبير عائد بالأساس إلى تعدد زوايا التّصور المنصبّة على الواقعة الواحدة، إذ لا وجود لبنيّة عميقة موحدة أو تحوّلات مجردة لا داعي لها من حيث الجانب العملي الافتراضي[5] .

2.2.1_ أبعاد الإنبناء التّصوّري:

ولكي نشكل هذا المشهد ذهنيا، نستخدم أربعة أبعاد أساسيّة للانبناء:[6]

1.2.2.1_ التّخصيص:

الّذي "يتعلق بمستوى التّدقيق و التّفصيل الّذي يكون عليه توصيف وضعيّة ما(...) ومقابل التّخصيص تكون الخطاطيّة" وهي البنيّة الأكثر اتساعا وشمولاً منه. فالكلمات في اللّغة تترتّب عبر درجات متسلسلة تشبه السّلّم، بحيث تكون الكلمة السّابقة دائما أكثر عموميّة وشاملة (خطاطيّة) مقارنة بالكلمة الّتي تأتي بعدها.

ويظهر هذا الانتقاء والتّدرج من معنى عام وشامل إلى معنى دقيق ومحدد في المثال التالي:

إنسان ← رجل←كهل←طبيب←طبيب عيون.

فالكلمة الأولى في السلسلة (إنسان) تمثل إطار عام (الخطاطيّة) بالنسبة للكلمة الّتي تليها (رجل) وهكذا يستمرّ التّدرج نحو التّخصيص كلما انتقلنا من كلمة إلى أخرى.

---

(1) – مها المطيري، المرجع السابق، ص496.

(2) – المرجع نفسه، ص496.

(3) – المرجع نفسه، ص497.

(4) – المرجع نفسه، ص ن.

(5) – ينظر، الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفانيّة، مرجع سابق، ص100.

(6) – المرجع نفسه، ص 101

2.2.2.1_ التبئير:

ويُعرَّف بوصفه ضربا من "انتقاء المضمون المفهوميّ الّذي يُعدُّ للعرض اللّغوي"[1]وهو يتألف من صنفين رئيسيين هما: الأماميّة و الخلفيّة. ويخضع التبئير لتراتبيّة محدّدة تظهر في شكل تدرج ينتقل من المجالات الأساسيّة إلى المجالات الأقلّ أهميّة، أو وفقا للثنائيّة الّتي اصطلح عليها "لانقاكر" «الأماميّة مقابل الخلفيّة»[2] فالكلام يحتاج دائما إلى الخلفيّة المعرفيّة لكي يتسنى توضيحها وفهمها؛ إذ تُعدُّ الخلفيّة بمثابة معرفة سابقة ومرافقة للقول.

ولتوضيح فكرة التّبئير وثنائيّة (الاماميّة والخلفيّة) بشكل أكثر ملامسة للتّجربة الإنسانيّة اليوميّة نأخذ المثال التّالي:

- أخيرا وصلنا إلى الشاطيء.

الأماميّة (البؤرة/ المرتكز): هي كلمة (الشاطيء) والّذي يمثل الشّريط اليابس الضيّق الّذي نركز عليه انتباهنا ووظّفناه لغويا.

الخلفيّة (القاعدة/ المظهر): هي المساحة الإدراكيّة الهائلة للبحر و اليابسة والتقائهما.

يشتغل التبئير هنا على النّحول التّالي:

أنّنا لايمكن أن نتصوّر أو نفهم ماهو (الشاطيء) إذا حذفنا من أذهاننا خلفيّة (البحر) و(البرّ)، فالكلمة في الأماميّة تستمدّ وجودها ومعناها كاملا من الخلفيّة المعرفيّة السابقة و المرافقة لها؛ فنحن لانرى الشاطيء إلّا لأنّنا ندرك ضمنيا وجود البحر.

3.2.2.1_ البروز:

حدّد "لانقاكر" مفهوم البروز من خلال تتبع عدم التّساوي (انعدام التّناظر) داخل الأبنيّة اللّغويّة؛ فاللّغة قائمة على التّمييز و المفاضلة بين الأفكار و الظّواهر. ويظهر هذا الإختلاف بوضوح عندما نضع الكلمات في مقابلات ثنائيّة مثل: (ملموس ومجرّد، حقيقيّ ومتخيّل، صريح وضمنيّ...) وبناء عليه فإنّ القاعدة الأساسيّة هنا هي أنّ «كل شيء يُنتقَى يُعدُّ بارزا بالمقارنة مع الّذي لم ينتق»[3].

ولمفهوم البروز أبعاد و أشكال مختلفة تظهر من خلال ارتباطه بمفاهيم قريبة ومجاورة له؛ وهي "الإيجاه" من ناحيّة وثنائيّة "السيّار و الهدف" من ناحيّة أخرى:

✓ **الإتّجاه:** وهو عبارة عن «توجيه الاهتمام نحو بؤرة مخصوصة من المشهد الأمامي(..) ويتحدّد بالذّات الّتي تعيّنها العبارة، أي المحال عليه في المقام المستحضر»[4] وهذا يعني أنّ الكلمات المستعملة في التّواصل تستحضر

---

(1) – الأزهر الزّناد، مدخل في النحو العرفنيّ، ص104.

(2) – المرجع نفسه، ص 105.

(3) – مها المطيري، مرجع سابق، ص499.

(4) – المرجع نفسه، ص499.

تلقائيا العلاقات الّتي تربطها بكلمات ووحدات أخرى، لتصبح هذه العلاقات هي الأساس الّذي يُبنى عليه معناها الفكريّ والذّهنيّ.

ولتوضيح مفهوم الاتّجاه بشكل أبسط نأخذ مشهد (البرّ و البحر) من خلال الجدول التّالي:

	توجيه إتّجاه حركة الإنتباه	الرّوابط التلقائيّة
– نظر المسافر إلى البحر.	يتحرك وعي السامع وسهم اهتمامه من البرّ الثّابت (حيث يقف المسافر)وينطلق خارجا نحو امتداد مياه البحر الأفقيّة.	يستحضر الذّهن فورا معاني: السفر، المجهول، الرغبة في ركوب الموج، تأمل الأفق البعيد...
– لاحت السّفينة من البحر نحو البرّ.	ينعكس مسار الحركة الإدراكيّة تماما؛حيث يبدأ وعي السامع من نقطة بعيدة وسط مياه البحر، يتحرك السهم متّجها نحو اليابسة (البرّ) حيث يقف المتلقي.	يستحضر الذّهن تلقائيا معاني: الوصول، العودة من السّفر، الأمان، الاقتراب من الرسوّ...

نستخلص من هذا الجدول أنّ المشهد الجغرافي (البرّ والبحر) لم يتغيّر أبدا، ولكن حروف الجر (إلى ومن) و ظرف المكان (نحو) غيّرت المعنى.

- ✓ حرف الجر (إلى) وجّه اهتمامنا في اتجاه البر نحو البحر.
- ✓ حرف الجر (من) والظرف (نحو) عكسا اتّجاه اهتمامنا ليصبح من البحر نحو البرّ.

✓ **السيّار و الهدف:** يبرز هذا البعد من خلال تقسيم الأدوار بين المشاركين في الجملة، وقد فسّرها "لانقاكر" بقوله: « عندما يقع إيجاه العلاقة، يمنح للمشاركين فيها درجات مختلفة من البروز. فيسمّى المشارك الأبرز السيّار ويمثل الذّات الّتي تفهم باعتبارها المُموضعة أو المقيّمة أو الموصوفة. فهو يمثل البؤرة الرئيسيّة في العلاقة الموجّهة دون منازع.. وكثيرا مايبرز العديد من المشاركين الآخرين باعتبارهم بؤرة ثانويّة. فتسمّى الهدف»[1].

ولتجسيد أثر البروز وانعدام التّناظر داخل البنيّة النّحويّة، أورد "الأزهر الزّناد" مقابلة جمليّة:

- أ . أهدى زيدٌ كتاباً إلى عمرو.
- ب . أهدى زيدٌ عمراً كتاباً.

تتفق الجملتان تماما من حيث مضمون الواقعة وعناصرها الماديّة المشكّلة للحدث (زيد، عمرو، كتاب)، لكنّهما تختلفان في المعنى نظراً لانّ المتكلم ينتقي في كلّ جملة صورة تصوريّة مخصوصة ينضد بها الموقف الحاصل في ذهنه لغايات تواصليّة[2]. ويتّضح التّباين العرفاني بين الصّورتين عبر التّحليل الهندسي للانبناء كما مثّله "الزّناد" برسم تخطيطيّ كالتّالي:[3]

---

[1] – مها المطيري، مرجع نفسه، ص499.

[2] – ينظر الأزهر الزناد، نظريات لسانيّة عرفانيّة، مرجع سابق، ص100.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 101.

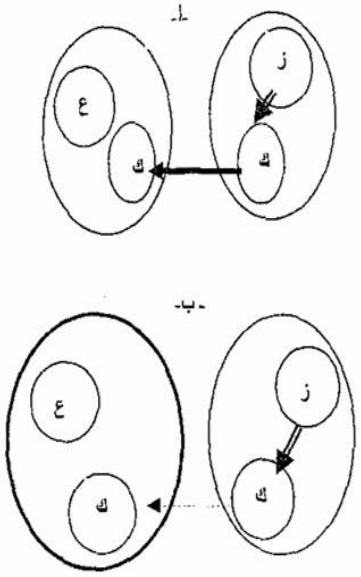

- في البنيّة التركيبيّة (أ): يعيّن الجر "إلى" المسلك الطبيعي و الفيزيائي الّذي اتبعه الكتاب، وبذلك يكون مسار الانتقال الحركي هو المظهر المكوّن الأبرز للواقعة. ويمثّل السّهم الغليظ في الرّسم التخطيطيّ (أ) من الوثيقة حركة الانتقال ومحط العناية و البروز بحضور حرف الجر المعبر عن الاتجاه.
- في البنيّة التركيبيّة (ب): يظهر ترتيب آخر ضروري لعناصر المتمّمات بفعل غياب الوسائط الحرفيّة؛ إذ تصبح علاقة الملكيّة و الحلول هي المظهر الأبرز للواقعة. فالجملة هنا قائمة على بيان "المآل"(أي حصول الهديّة واستقرارها عند متقبلها)، حيث تشير الحلقة الدائريّة الغليظة في الرسم التّخطيطيّ (ب) من الوثيقة إلى حلول الملكيّة عند عمرو وهو ما يمثل محط العنايّة و البروز بغياب حرف الجر "إلى".

4.2.2.1_ المنظور:

جاء في كتاب "لانقاكر" أنّه « إذا كانت المفهمة (التّصور) رؤية مشهد ما، يكون المنظور توزيع الرّؤية،وهو أجلى منظر تُتّخذ منه زاوية النظر. وتحت تسمية المنظور، أعتبر كذلك الحركيّة في صلتها بالكيفيّة الّتي تتنامى بها المفهمة خلال زمن المعالجة»[1]. فالمنظور بناء على هذا يمثل آليّة ذهنيّة لترتيب المشهد الذّهنيّ واختيار زاويّة الإضاءة فيه، متتبعا كيفيّة تحرك وتطوّر هذا المشهد داخل عقل الإنسان عبر الزّمن.

وعلى هذا الأساس يقوم المنظور عند "لانقاكر" على مفهومين أساسيين يحدّدان أبعاد الرّؤية الدّلاليّة وهما:[2]

[1] – الأزهر الزّناد، مدخل في النحو العرفنيّ، ص128/129.

[2] – مها المطيري، مرجع سابق، ص 499.

✓ **تنظيم الرؤية:** والمقصود به طبيعة العلاقة الرّابطة بين الرّائي و الوضعيّة المشهودة والّتي يقع عليها فعل الرؤيّة، ويتحدد هذا التّنظيم عبر تصوّر "نقطة مرجعيّة فضلى"، وهي نقطة ديناميكيّة مرنة تتغيّر طرديّا بتغيّر زاويّة نظر المتكلم أو المخاطب في الموقف التّواصليّ.

✓ **البعد الزّمنيّ:** وهو بُعد وثيق الصّلة بعمليّة التّصوّر الذّهني بوصفها حدثا سيكولوجيّا واقعا في زمن ما، مما يمنح المفهمة سمة "حركيّة" وتتجلّى هذه الحركيّة في الكيفيّة الّتي تتنامى وتتطوّر بها المفهمة داخل العقل البشري خلال زمن المعالجة.

ولتفسير المنظور بشكل مبسط نأخذ مشهد (غرق السّفينة) ببعديه تنظيم الرؤيّة والبعد الزّمني من خلال الجدول الآتي:

تنظيم الرّؤية/ البعد الزّمني	العبارة	النقطة المرجعيّة الفضلى (مكان الرائي)/زمن المعالجة	التّحليل
الرؤية (أ)	غاصت السّفينة في أعماق البحر	اليابسة (الشاطيء) خارج السّفينة	زاويّة النظر ترى السّفينة من الخارج وهي "تغيب" وتصغر تدريجيا في الأفق، لذلك استعمل فعل (غاصت) ليناسب الرؤية من بعيد
البعد الزّمني (أ)	رأيت حطام السّفينة الغارقة	تصور ساكن ثمّ اختزال الزّمن رأيت و انتهيت	يعالج المشهد كصورة فوتوغرافيّة لنتيجة نهائيّة ثابتة.
الرؤية (ب)	الماء يرتفع وابتلع غرفتنا	داخل السّفينة نفسها في عرض البحر	انتقلت الرؤية المرجعيّة لتصبح في قلب الحدث. تغير تنظيم الرؤية، فلم يعد الرائي يرى هيكل السّفينة الخارجي وهو يغوص، بل يرى الماء يرتفع بالنسبة لغرفته.
البعد الزّمني (ب)	كانت السّفينة تغرق شيئا فشيئا	تصوّر حركي، زمن ممتد متنامي	يعالج المشهد كفيلم سنمائي متطور ومتسلسل التّفاصيل

من خلال الجدول يتضح أنّ:

المشهد الواقعي واحد "غرق السّفينة"، لكنّ المتكلم يملك"جهاز تحكم"إدراكي؛ يغير به مكان التّصوّر (الكاميرا) ليرينا المشهد من الخارج أو الدّاخل (تنظيم الرؤيّة)، ويتحكم به في سرعة العرض ليرينا لقطة ثابتة أو فيلما متحركا(البعد الزّمني).

ولتقريب هذه الآليّة اللّسانيّة، جمع "لانقاكر" هذه الرؤى المتنّوعة في استعارة دلالية مستوحاة من (المشهد المسرحي) لتفسير طبيعة الملفوظ وكيفيّة بناء دلالته؛ حيث يُقسَّم المشهد الذّهنيّ إلى عناصر بارزة تقع "أمام السّتار" وتُسلّط عليها الأضواء (التبئير الدلاليّ)، وعناصر أخرى تقع "خلفه" وقد يكون إخفائها مقصودا لتوجيه الفهم السّياقي. وهذا التّوزيع الدّقيق يؤكد في نهايّة المطاف أنّ الدلالة عند "لانقاكر" لا تُماثل الجمود، بل تتمثّل أساسا في كيفيّة البناء وصياغة المشهد.

2- النّحو مفهوم العرفاني:

1.2-النحو لغة:

جاء في معجم اللّغة لـ "ابن فارس" في(باب النون والحاء وما يثلثهما): "نحو: النّحو: الطريق. وبنو نحو: من العرب. و أهل المنحاة: القوم البعداء غير الأقارب. والنحو: نحو الكلام، وهو قصد القائل أصول العرب ليتكلم بمثل ما تكلموا به"[1].

المعجم الوسيط لمجمع اللّغة العربية، في باب النون : "(النّحو): القصد. يقال: نحوت نحوه: قصدت قصده.و-الطريق. و-الجهة. و-المثل . و-المقدار. و-النوع. (ج) أنحاء، ونحو. و-علم يعرف به احوال أواخر الكلام أعرابا وبناء"[2].

يمكن القول إن المعنى اللغوي لمادة (ن ح و) في أمهات المعاجم يدور حول ثلاثة معانٍ رئيسية هي: القصد، والطريق، والجهة؛ وعليه يُفهم علم النحو باعتباره السبيل الذي يقصده الدارس ليقتفي أثر العرب الفصحاء، فيتمكن من استعمال اللغة العربية استعمالاً صحيحاً وسليماً، مما يحفظ لسانه وقلمه من الوقوع في الخطأ أو اللحن، ويُعينه على بلوغ الفصاحة والوضوح في التعبير.

2.2- النحو اصطلاحا:

هو "علم يعنى، أول ما يعنى، بالنظر في أواخر الكلم، ومايعتريها من إعراب وبناء، كما يعنى بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية، كالذكر والحذف، والتقديم والتأخير، وتفسير بعض التعبيرات، غير أنه يولي العناية الاولى للاعراب"[3].

وجاء في (الخصائص) لابن جني في باب (القول على النحو): "هو انتحاء سَمْت كلام العرب، في تصرفه من إعراب و غيره؛ كالتثنية، و الجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك...وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك: قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القَبِيل من العلم"[4].

التعريف الأول يحدّد النحو من الناحية الوظيفية بأنه علم يُعنى «بأواخر الكلم» وإعرابها، بينما يوسّع ابن جني هذا المفهوم ليؤصّله بوصفه «انتحاءً لسمت كلام العرب» في كل تصرفاته اللغوية، وبذلك يكون النحو منهجاً لاستنطاق منطق اللغة العربية وفهم أسرارها، لا مجرد قواعد جامدة لضبط أواخر الكلمات.

---

[1]- أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ج3، ط2، 1986م، ص859.

[2]- إبراهيم أنيس وآخرون، مرجع سابق، ص908.

[3] - فاضل السامرائي، معاني النحو، دار ابن كثير، بيروت–لبنان، ج1، ط2، 2020م، ص5.

[4]- ابن جني، مصدر سابق، ص34.

3.2- النحو العرفاني:

النحو العرفاني أو مايسمى بالنحو الفضائي نسبة إلى اللّساني الأمريكي "لانقاكر" هو نظرية لسانية حديثة ظهرت في منتصف السّبعينات من القرن الماضي[1].

فالنحو العرفاني منهج لساني يقوم على المزاوجة المطلقة بين البناء اللغوي والتمثّل الذهني، حيث يُنظر إلى اللغة كجزء لا يتجزأ من العمليات الإدراكية العامة. وفي هذا الإطار، تُصبح "الوحدة المعجمية محددة صوتميّا ومفهوميا بالتقارب الرّأسي بين شكلها الصوتي ومعناه دون حاجة إلى وسيط توليفي إعرابي"[2]؛ أي أن القواعد النحوية ليست مجرد قوانين صورية جافة، بل هي تجسيد لطريقة فهمنا للعالم، حيث يلتحم الصوت بالمعنى مباشرة في وعي المتكلم.

فنظرية النّحو العرفانيّ "نظرية شاملة لكل مستويات اللّغة-ليست تعنى بالنحو فقط-ولكلّ أبنيتها الشكلية و التقديرية منها البسيطة أو المركبة الأصلية أو الفرعية أو التوليدية التحويلية للجملة أو المفردة ذات التركيب الصوتي و الصرفي و الدلالي"[3]. النحو العرفاني رؤية شمولية تدمج الشكل والمعنى والروح في اللغة، فتتجاوز التحليل السطحي إلى كشف البنى الخفية التي تربط الصوت بالصرف والدلالة في وحدة معرفية متكاملة..

أما عند جاكندوف فهو:"خوارزمية تشتغل على أساس التّوازي مكوّناتها ثالوث يضمّ الدّلالة والإعراب والصوتمية. وكل واحد من هذا الثالوث نحو توليدي في ذاته؛ أي له أوّليّاته الخاصّة به ومبادئ التّوليف بينها. ويمثل كل واحد من هذا الثّالوث مستوى مستقلاً بنفسه ولكنّه يرتبط بالمستويين الآخرين بمجموعة من قيود التّصافح (التناسب). فالجملة ذات البناء الجيّد تتضمن ثالوثا من الأبنية ذات التّكوّن الجيّد تترابط ترابطا جيدا في ما بينها بتوسّط تلك القيود"[4]. فالنحو عنده نموذج توازي يجمع ثلاث مستويات مستقلة (الدلالة، الإعراب، الصوتمية)، يتكامل كل منها مع الآخرين عبر قيود التصافح لا عبر الاشتقاق. فالجملة السليمة هي التي تتوافق فيها هذه البنى الثلاثة بتناسق، مما يعكس رؤية إدراكية للغة كشبكة متزامنة.

ويعمل النحو العرفاني على ثلاث مستويات أساسية[5]:

- ✓ **المستوى الحيوي أو البيولوجي**:يتمثل في الدماغ بوصفه شبكة نظامية مكونة من ملايين العصبونات (النيورونات) المترابطة التي تشكل خلفية البناء الفكري للذهن الإنساني.

---

[1]- الأزهر الزناد، مرجع سابق، ص97.

[2] - المرجع نفسه، ص69.

[3] - صلاح الدين يحي، نظرية النّحو العرفانيّ مستوى الثالوث من الأبنية ذات التكوّن الجيّد (الدلالة ، التركيب، المعجم)، مجلة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، جامعة ملود معمري-تيزي وزو، مج04، عدد02، 2020م، ص113.

[4] - الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص65.

[5] - صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية-الذّهن واللّغة والواقع، دار وجوه للنشر والتّوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض،ط1، 2019م، ص16.

✓ **المستوى التمثيلي أو الإدراكي:** ويتأسس حول بحث كيفية تمثيل المعرفة الموجودة في العالم وبلورتها بصورة مفاهيم داخل الدماغ ؛ وهو الأمر المعروف بمصطلح التمثيلات الذهنية.

✓ **مستوى المعالجة المعلوماتية:** وهو الذي ينظر إلى الفكر بوصفه نسقا مجردا لمعالجة المعلومات؛ حيث يكون التركيز على دراسة كيفية انتقال المعلومات داخل الشبكة العصبية (النيورونية) بوصفها نسقا وظيفيا، من دون الإحالة إلى ما تمثله المعلومة خارج الدماغ (استعارة الذهن-الحاسوب) علما بأنّ المعالجة المعلوماتية بنمطها: الإدراكي (إدراك شيء ما) والرّمزي (فهم الجملة وتمثيلها العصبي وتخطيطها الذهني) كل هذا يحدث من خلال منظومة من المقولات والمفاهيم الّتي تتحكم في تمثيل العالم وتنميطه ونمذجته داخل ذهن الأفراد من بني الإنسان.

ولعل من أبرز ما يقترحه لانقاكر من أسس تعارض المعهود في النظرية اللّسانية يتمثل بإيجاز فيما يلي:[1]

✓ يعتمد"لانقاكر"مفهوم التصوير في تحليل المعنى في حين يعتمد جمهور اللّسانيين في ذلك جهازا مشتقا من المنطق الصوري.

✓ لا يقبل "لانقاكر"الانفصال بين الإعراب والدلالة خلافاً لسائر النظريات التي تتصور الإعراب مكوناً شكلياً قائماً بذاته .

✓ من المفروض عند "لانقاكر"أن تكون النظرية اللسانية وصفاً متكاملاً يجمع بين مختلف المظاهر في البنية اللغوية خلافاً للمتداول.

✓ عند "لانقاكر"اللغة ليست نظاماً مكتفياً بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليات العرفنيّة، ولا يمكن تفسير السلوك اللغوي دون اعتبار آليات المعالجة العرفنية، فاللغة جزء لا ينفصل عن العرفنة البشرية.

✓ لا يمكن الفصل بين الملكة اللغوية وسائر المظاهر في المعالجة العرفنّية، لذا يرى "لانقاكر" أن السعي إلى التأليف بين نتائج البحث اللساني ونتائج علم النفس أولى من السعي إلى الفصل بينهما، ويرى أنه فصل ناتج عما غلب على الدرس اللساني من اصطناع وافتعال سلبا الموضوع والنظرية طبيعتهما.

4.2-المفاهيم الأساسية للنحو العرفاني:

يقوم النحو العرفاني على أربعة مفاهيم أساسية وهي:

1.4.2- القدرات الذهنية العامّة:

تتم معالجة وإنتاج الوحدات اللّغوية بواسطة مجموعة "من القدرات الذهنية العامة التي لا تخص نشاط الإنسان اللغوي فحسب وإنما تهم مختلف الأنشطة التي يقوم بها في كل ميادين المعرفة وحتى في حياته اليومية. من بين هذه القدرات يمكننا أن نذكر قدرة الإنسان على إنشاء تصورات منظمة وتشكيلها، وقدرته على تصور مستويات متعددة متنوعة تختلف في ما بينها من حيث درجة التجريد للتعبير عن الحالات والوضعيات بمختلف

[1] – الأزهر الزناد ، المرجع نفسه ، ص 99/98.

أنواعها. ويمكننا كذلك أن نذكر قدرته على التأليف بين أبنية بسيطة وإقامة علاقات بينها لتكوين أبنية مركبة أكثر تعقيدا، وكذلك قدرته على تنظيم نفس المضمون بطرق مختلفة"[1]. فالنحو العرفاني يرتكز على رؤية مفادها أن اللغة ليست مهارة معزولة، بل هي نتاج لقدرات ذهنية بشرية عامة تُستخدم في التواصل وفي شؤون الحياة اليومية على حد سواء. وتتمثل أهم هذه القدرات في بناء التصورات والتركيب والدمج ومرونة الصياغة.

2.4.2- المجالات العرفانية:

تعتمد المجالات العرفانية في تحليل الدلالة لعبارة لغوية ما يكون بربطها بمجموعة من الأبنية المعرفية الّتي نطلق عليها في النحو العرفاني مصطلح (مجال عرفاني) أو(مجال تصوّري)"[2]. فالوحدة المعنوية تحيل إلى العديد من المجالات.

مثلا الوحدة اللغوية "كتاب" لا تقتصر دلالتها على الورق المجلد، بل تمتد لتنشط:

- ✓ المجال الفيزيائي: كونه شيئاً مادياً له وزن وشكل.
- ✓ المجال التقني/الصناعي: عملية الطباعة والنشر.
- ✓ المجال المعرفي: اللغة، المحتوى المكتوب، والتعليم.
- ✓ المجال الاقتصادي: باعتباره سلعة تجارية تخضع للبيع والشراء.

"بعض هذه المجالات بسيط أوّلي، إلا أن أغلب العبارات اللغوية تحيل على مجالات مركبة معقدة. المهم أن كل نظام معرفي وكل تصور يمكنه أن يمثل مجالا لتحديد الخصائص المعنوية لعبارة لغوية ما. وتكوّن المجالات المختلفة والمعنية في معنى العبارة ما يسمّى بالحقل الدلالي لتلك العبارة[3]. يتضح مما سبق أن هذه المجالات المتنوعة (البسيطة منها والمعقدة) تتضافر لتشكل ما يُعرف بالحقل الدلالي للعبارة اللغوية.

- ✓ **المجالات الأولية**:هي اللبنات البسيطة للتصور.
- ✓ **المجالات المركبة**: هي أنظمة معرفية أكثر تعقيداً تساهم في تحديد الخصائص المعنوية الدقيقة للكلمة.

"وقد تستعمل بعض المناويل، التي تكون جزءا من تصورنا الاصطلاحي لبعض المفاهيم، باعتبارها مجالات عرفانية تسمح بتحديد بعض خصائص عبارة ما"[4]. فمثلا عند استخدام عبارة "يوم الجمعة"، يتم تلقائياً استحضار وتنشيط منوال الزمان في الذهن، فبدون هذا الإطار الزمني لا يمكن فهم دلالة اليوم أو موقعه في السلسلة الزمنية.

---

[1]- عبد الجبار بن غريبة، المرجع السابق، ص39.

[2] -المرجع نفسه، ص40/39.

[3] – المرجع نفسه، ص40.

[4] – المرجع نفسه، ص ن.

3.4.2- الفضاءات الذهنية:

يعد مفهوم "الفضاء الذهني" أداة أساسية لفهم كيف تُحدد العبارات اللغوية دلالاتها وهو "عبارة عن وضعية معقدة إلى حدّ ما تشتمل على مجموعة من العناصر وعلى علاقات معينة بين تلك العناصر"[1].أي هو إطار تصوّري يضمّ مجموعة من العناصر والعلاقات فيما بينها، ويلجأ إليه المتكلم أو المستمع لفهم معنى ما يُقال.

وهذا الإطار قد يكون هو الواقع الفعلي، أو قد يكون عالما تخيّليًا كما في الروايات والأفلام والمسرحيات. كما يشمل المعتقدات والمشاعر والرغبات، أي كل ما يدور في ذهن المتكلم. وهذه الفضاءات مترابطة ومتشعّبة، ففضاء النص المكتوب وفضاء النص المنطوق مثلًا متفرّعان من فضاء النص.

وللفضاءات الذهنية أهمية تتمثل في "تفسير بعض الظواهر اللغوية و بعض الإختلافات الدلالية الهامة .فالفرق بين الدّلالتين اللّتين يمكن إرجاعه إلى وجود الوحدة المعنوية في فضاء واحد أو وجودها في الآن نفسه في فضائين مختلفين"[2].

.فمثلًا جملة (أبحث عن راقصة)، فهي تحتمل تأويلين:

	الحالة	التأويل	الفضاء
1	راقصة بعينها في ذهن المتكلم	تأويل محدد	فضاء ذاتي+فضاء واقعي
2	أي امرأة تملك صفة الرقص	تأويل عام	فضاء ذاتي فقط

فالفعل "أبحث" يحيل في الحالة الثانية على فضاء ذاتي للمتكلم، وفي الحالة الأولى تكون هناك مراسلة بين فضاء المتكلم الذهني والفضاء الواقعي.

هذا الفرق بين التأويلين الممكنين للمركب الاسمي النكرة هو ماتعارف عليه اللسانيّون بالمقابلة المشهورة بين القراءة العامة مقابل القراءة الخاصة.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) إلى "أنّ المركب الإسمي المعرفة، شأنه في ذلك شأن المركب الإسمي النكرة، يمكنه أن يفيد مجرد حصول الصّفة على وجه الإفتراض"[3]؛ أي تقدير شيء لم يُعلم وجوده.

---

(1) – عبد الجبار بن غريبة، المرجع السابق، ص40.

(2) – المرجع نفسه، ص41.

(3) – المرجع سابق، ص41.

ويمكننا أن نبين أهمية الفضاءات الذهنية في نظام الفعل العربي كالآتي:

الجدول التصريفي	الفضاء	الدلالة
الماضي و المضارع المرفوع	فضاء الواقع	الحدث واقعي (واجب أو ممكن)
المضارع المنصوب	فضاء ذهني (الرغبات ، الإمكان...)	الحدث في فضاء الإمكان

4.4.2- تنظيم المضامين الدلالية:

مما سبق رأينا أن "المجالات الذهنية الّتي يستدعيها معنى عبارة ما ضروريّة لبيان خصائص معنى تلك العبارة، إلّا أنّها غير كافية؛ لأنّها لا تهمّ إلّا المضمون الإعلامي. والنحو العرفاني يتبنّى وجهة نظر ذاتيّة أو أقل رؤية ذاتيّة للمعنى، رؤية تعتبر أنّ دلالة عبارة ما تتكون من مضمون ذهني تصوّري، ومن طريقة خاصّة يختارها المتكلم و يعتمدها في تنظيم ذلك المضمون و تمثيله، أي أنّ معنى العبارة يشمل في الآن ذاته كل المعارف والمعلومات الّتي يستدعيها مضمونها، وكذلك الصّياغة الخاصّة الّتي يفرضها المتكلم على ذلك المضمون"[1] .أي أننا عندما ندرس معنى أي عبارة، لايكفي أن ننظر فقط إلى المعلومات التي تحملها. فالنحو العرفاني يرى أن المعنى يتكون من جزأين مهمين:

- ✓ الأول المضمون الذهني؛ أي كل المعلومات والمعارف التي تخطر في بالنا عندما نسمع كلمة.
- ✓ والثاني الطريقة التي يختارها المتكلم لتنظيم هذا المضمون وعرضه.

بمعنى آخر، المعنى لاينحصر في محتوى"مانقول"بل يتعداه إلى"كيف نقوله". هذه الطريقة في التنظيم تعكس رؤية ذاتية المعنى، حيث يختار المتكلم أن يبرز جانبا معينا من المعنى على حساب جوانب أخرى.

وعملية الصياغة والتنظيم لها بعد هام المتمثل في "القدرات الّتي بحوزة الإنسان والّتي يمكنه بفضلها إبراز جانب واحد من جوانب القاعدة الدّلالية أو وجه واحد يمثل قيمة العبارة ومعناها[2].

– **القاعدة الدلالية:** تتمتع كل عبارة لغوية بما يُعرف بالقاعدة الدّلالية تتكون من عدة مجالات عرفانية وثيقة الصلة بالعبارة"[3].فعند استحضار لفظ "عجلة" تتضمن القاعدة الدلالية كل مايرتبط بالعجلة من حيث شكلها، وأجزائها، ووظيفتها، ومجالات استخدامها. غير أن الجدير بالتنبيه هو "أنّ هذه المجالات إن أمكن استحضارها وتنشيطها كلما استعملت تلك العبارة، فإنّه لايقع استحضارها جميعا ولا استدعاؤها في نفس

---

(1) – عبد الجبار بن غريبة، المرجع السابق، ص42.

(2) – المرجع نفسه، ص ن.

(3) – المرجع نفسه، ص ن.

الوقت"[1]؛ أي عند استخدام اللّفظ في سياق محدد، يستحضر الجانب ذو الصلة بالسياق فحسب، بينما تبقى الجوانب الأخرى في الخلفية دون استحضار مباشر.

– **الوجه:** الجانب الذي يختار المتكلم إبرازه من القاعدة الدلالية يسمى"الوجه". وهو في هذا السياق "موضع جزئي موجود داخل القاعدة الدلالية يفيد معنى العبارة"[2]. والأمر الجوهري هنا هو أن الوجه ليس خاصية ثابتة في البنية الدّاخلية للقاعدة الدلالية، بل هو اختيار يقوم به المتكلم. ومن ثم، يمكن لعدة عبارات مختلفة أن تشترك في القاعدة الدلالية ذاتها، و تتباين في الوجه الّذي تبرزه.

– فالألفاظ (الإطار) و (الشعاع) و (الحلقة المركزية) تشترك جميعها في القاعدة الدلالية "العجلة"، لكن كل لفظ منها يبرز جزءا مختلفا منها:

اللّفظ	الوجه المبرز
الإطار	الحافة الخارجية
الشعاع	الخطوط الواصلة
الحلقة المركزية	المركز

ولايقتصر تطبيق مفهوم الوجه على المستوى المعجمي فحسب، بل يمتد ليشمل المستوى النحوي حيث "يلجأ العرفانيون إلى مفهوم الوجه في دراسة بنية الوحدات المعنوية الدنيا وفي تحليل العلاقة التي تمثل أساس كل تركيب وكل جملة في اللغة. فهم يستخدمونه في التمييز بين عديد المقولات الصرفية النحوية فالعبارات" مجموعة"و"جمع"و"يجمع"و"جامع"و"مجموع"و"مع"و"معا"تشترك في نفس المضمون الدّلالي، وكل ما يميّز بينها إنما يكمن في الطريقة التي وقع توخيها في تنظيم كل منها، تلك الطريقة الّتي تجعل كل عبارة تعيّن وجها خاصا من وجوه القاعدة المشتركة وتبرزه بطريقة خاصة"[3].

ويسهم مفهوم الوجه في فهم آلية ترتيب العناصر النحوية في الجملة من حيث الأهمية والبروز. ففي أي تركيب نحوي، يبرز عنصران بدرجة أكبر من غيرها. "الأول وهو الوحدة الأكثر بروزا وتمثل الوجه البارز في العلاقة، وكثيرا ما يقوم الفاعل بهذا الدور في الجملة الفعلية، والمبتدأ في الجملة الإسمية.أمّا الطرف الثاني الذي يشارك هو الآخر بطريقة مباشرة في العلاقة فهو أقل بروزا"[4].

ففي عبارة"كتاب محمد"تعدّ كلمة"كتاب"الأكثر بروزا باعتبارها رأس المركب، وإذ تشير العبارة كلها إلى"كتاب" لا إلى"محمد". أما"محمد"فهو الطرف الثاني الّذي يحدد مالك"الكتاب"

---

(1) – المرجع نفسه، ص42/43.

(2) – المرجع نفسه، ص 43.

(3) – عبد الجبار بن غريبة، المرجع السابق، ص43.

(4) – المرجع نفسه، ص43.

5.2-أمثلة توضيحية على البروز النسبي:

المثال الأوّل: الجملة الإسمية.

جملة"علي مهندس"تتألف من مبتدأ وخبر. المبتدأ"علي"هو العنصر الأكثر بروزا، لأّنه نقطة الارتكاز الّتي تدور حولها الجملة. أما الخبر"مهندس"فتأتي في المرتبة الثانية؛ فهو يصف المبتدأ ويضيف إليه معلومة جديدة. ومن ثم، فإنّ البروز هنا يترتب على النحو التّالي: المبتدأ أولا، ثم الخبر ثانيا.

المثال الثاني: الجملة الفعلية.

في جملة "أكل محمد تفّاحة" يحتّل الفعل "أكل" المرتبة الأولى من حيث البروز؛ لأنه يمثل العلاقة الّتي تربط بين عنصري الجملة. لكن عند النظر إلى العنصرين المرتبطين بهذه العلاقة، نجد أنّ الفاعل"محمد"يتقدم على المفعول به"تفاحة"من حيث البروز.

المثال الثالث: الجملة المركبة.

عندما نضع الجملة السابقة في سياق أوسع، كما في"علمتُ أنّ محمداً أكل تفاحةً"، يتغير ترتيب البروز. فالفعل"علم"يصبح هو الأبرز؛ لأنّه يمثل العلاقة الرئيسية في الجملة كلها. أما الفعل"أكل"الّذي كان الأبرز في الجملة المستقلة، فإنّه ينزل إلى المرتبة الثّانية ويصبح تابعا للفعل"علم".

يظهر من هذه الأمثلة أنّ البروز ليس ثابتا، بل يتغير بحسب المستوى الّذي ينظر إليه في التركيب اللّغوي.

3- الأبنية النحويّة:

1.3- ماهيّة الأبنيّة النّحوية وطبيعتها الرّمزيّة:

يرفض النّحو العرفاني الثنائيّة التّقليديّة الّتي تفصل بين "المعجم" بوصفه قائمة كلمات جامدة، و"النّحو"بوصفه نظاما من القواعد الشّكليّة المعزولة عن الدّلالة. وبدلا من ذلك، ينظر إلى اللّغة كمتصل رمزي تقع فيه المفردات و القواعد على خط واحد تنظّمه الوحدات الرّمزيّة.

بناء على هذا المنظور، يُعرّف النّحو عند لانقاكر بوصفه "مجموعة القوالب الّتي تحدّد أنماط التّوليف بين الأبنية الرّمزيّة توليفا خطيّا لتكوين تعابير رمزيّة من درجات عليا. والنّحو مسرد منضّد من الأبنيّة النّحويّة، تحدّد الواحدة منها العلاقة الّتي تكون بين مكوّنين أو أكثر من الأبنيّة الأساسيّة وتحدّد كذلك الأبنية المركّبة النّاتجة عن تلاحم الأبنية الأساسيّة"[1]. يُعيد هذا المنظور تعريف النّحو من مجرد قواعد صوريّة جافّة تحكم أواخر الكلمات، إلى هندسة ذهنيّة قائمة على (مسرد منضّد) أي مخزن منظّم من القوالب الجاهزة في عقولنا. ومن خلال هذا التّنضيد الإدراكي، تتلاحم الألفاظ والأبنيّة البسيطة خطيًا لتتحوّل إلى مركّبات تترقى تدريجياً، مما يسمح ببناء المعنى والتّعابير الرّمزيّة العليا طبقة فوق طبقة صعوداً من البسيط إلى المعقد دون قفزات مفاجئة.

---

[1] – الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفانية، المرجع السابق، ص 128.

2.3- مكوّنات الأبنيّة النّحويّة و العلاقات بينها:

يتكوّن البناء النّحويّ من وحدتين أساسيّتين ترتبطان عبر ثلاثة علاقات رئيسيّة كما يظهر في الرّسم التّوضيحي الّذي وضعه الزّناد كما تبلور عند لانقاكر كالتّالي:[1]

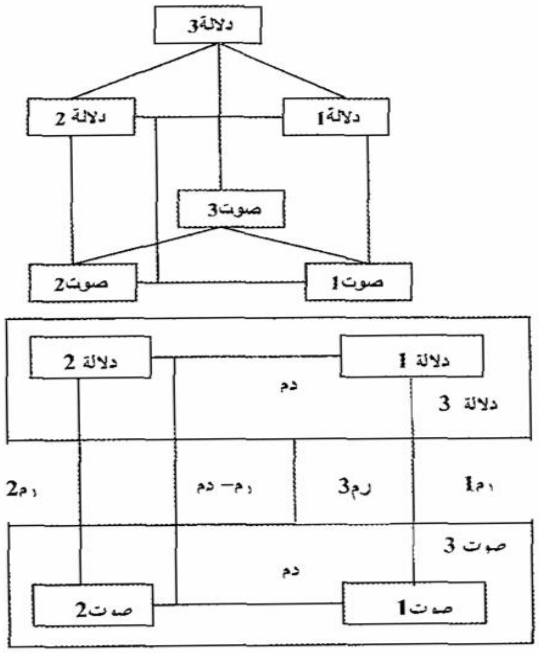

فحسب هذا المخطط الوحدات الأساسيّة اثنتان هما:[2]

1.3- صوتميّة: وهي الجانب المنطوق أو المسموع.

2.3- دلاليّة: وهي الجانب المفهوم أو المعنى.

وترتبط هاتان الوحدتان بثلاث علاقات متكاملة تُشكّل معا البنيّة الجوهرية للغة:

1- علاقة ترّميز(رم): وهي الجسر الرّابط بين الصوت والمعنى، وتتدرج هذه العلاقة حسب مستويات التّركيب فتكون العلاقة:

- ✓ ترميزا مباشرا بين صوت ومعنى في لفظ مفرد (رم1، رم2).
- ✓ ترميز جديد عندما يتركّب لفظ مفرد مع آخر، يقترن فيه الصّوت المركب بالمعنى المركّب (رم3).

2- علاقة تّركيب (تر): الّتي تلي علاقة التّرميز مباشرة وتعني ضمّ عنصر لغويّ إلى آخر لتكون بنيّة أوسع.

3- علاقة إدماج (دم): انصهار العنصرين في وحدة واحدة متماسكة سواء على مستوى الصّوت أو المعنى.

---

(1) – الأزهر الزّناد، المرجع السابق، ص 128.

(2) – المرجع السّابق، ص129/128

وهذا الإندماج لايقع في قطب واحد بل في القطبين معا الصّوتميّ والدّلاليّ ويتقارنان بواسطة التّرميز(رم– دم)؛ أي أنّ اندماج الصّوت هو رمز لاندماج المعنى، مما يكشف أنّ النّحو رمزيٌّ في جوهره، فلا اندماج صوتيّ إلّا ويقابله اندماج دلاليّ مناظر له.

نموذج تطبيقي: تحليل جملة محمّدُ مجتهدٌ.

	القطب الصّوتميّ	العلاقة	القطب الدّلالي
محمد	محمّد (صوت)	←رم1→	اسم علم (معنى)
مجتهد	مجتهد (صوت)	←رم2→	صفة الإجتهاد (معنى)
تركيب (تر)	ضمّ صوت + صوت		ضمّ معنى + معنى
ادماج (دم)	انصهار الصّوتين في وحدة واحدة	←رم3→	انصهار المعنيين في وحدة واحدة
الجملة	محمدُ مجتهدٌ (صوت مركب)	←رم3→	محمدُ مجتهدٌ (معنى مركب)

فعندما نسمع كلمة محمّدُ يخطر ببالنا فورا شخص اسمه محمدُ هذه العلاقة بين الصّوت و المعنى هي التّرميز.

✓ و عندما نضع محمّدُ بجانب مجتهدٌ في تسلسل معيّن (مبتدأ ثمّ خبر) فتركبان جملة اسميّة لكن يمكن الفصل بينهما.

✓ أما في علاقة الإدماج عندما تنصهر الضّمة مع محمد تصبح تدلّ على معنى النّحو (ابتداء+خبر) فلم تعد كلمة محمد وحدها لا الضّمّة وحدها بل محمّدُ وحدة واحدة لا تتجزّأ.

✓ وهكذا الجملة الاسميّة (محمّدُ مجتهدٌ) ليست مجرد كلمتين متجاورتين، بل بنيّة رمزيّة متكاملة تتكوّن من وحدات صوتميّة و دلاليّة تربطهما علاقات ترميز و تركيب وإدماج.

3.3–طبيعة الإدماج الدّلالي و الخطاطات البنائيّة:

1.3.3– التّوافق و الانسجام:

يذهب الزّناد إلى أنّه "في المظهر الدّلاليّ يقوم الدّمج بين بنيتين مكوّنتين دائما مايقوم على تناسبات ثابتة بين أبنيتهما الفرعيّة، فالأبنيّة الفرعيّة المتناسبة هي مواطن تطابق بين البنيتين المكوّنتين وهذه المواطن ضروريّة لنشأة مفهوم مركب مستقيم، فالأبنيّة المركّبة تنشأ بتراكب الخصائص في كلّ واحدة من الأبنية الفرعيّة المتناسبة"[1].

[1] – الأزهر الزّناد، المرجع السّابق، ص129.

ويتّضح هذا من خلال المركبين التاليين: (ماء بارد و ماء نائم) حيث نجد أنّ:

- ✓ في جملة ماء بارد: يكون المركب مستقيم ومفهوم لأن الماء يقبل الصفة (بارد) لان له درجة حرارة.
- ✓ أما في جملة الماء نائم: يكون هنا المركب فاسد وغير مفهوم لأن النّوم خاصة بالأحياء والماء جماد.

فإذا ما حدث نوع من التّعارض في الخصائص، لايستقيم المفهوم المركب. فيؤول إلى خلل دلالي يمثل خرقا لقيود الإنتقاء.

2.3.3- استقلاليّة الدّلالة المركّبة:

يؤصّل الزّناد لمبدأ لانقاكر مفاده أنّ "الدّلالة لا تقوم قياما كلّيّا على التّركيب بين الدّلالات الجزئيّة إذ يمكن للعبارات ذات البناء المركّب أن تُحيل، أوّل ما يكون تجميعها، على مجالات لا يمكن التّكهن بها من خلال الأبنيّة المكوّنة لها أو من خلال الوحدات المعهودة فيها. وإذا مثّلت هذه الخصائص جزءا من تأويل هذه العبارات وقسما من قيمتها الدّلاليّة في حال استقرارها وحدة قائمة برأسها، يكون من الاعتباطي إقصاء هذه الخصائص نت التّحليل الدّلالي"[1]. هذا المبدأ يضرب في عمق اللّسانيّات العرفانيّة، ويعبر عما نسميّه في فلسفة اللّغة بـ"الانبثاق الدّلاليّ"؛ وهو باختصار يثبت أنّ اللّغة كائن حي ذكي، وليست معادلة رياضيّة جامدة.

ويستشهد الزّناد بأمثلة من العربيّة:"فوق رأسي"أو"على رأسي وعيني" هذه العبارات تدل على العناية بالشيء وإيلائه المنزلة العليا، وهي قيمة لا نحصل عليها بمجرد الجمع بين دلالات الأجزاء المركّبة للعبارة.

3.3.3- المكوّنيّة التّراتبيّة:

يرى الزّناد تماشيا مع لانقاكر أنّ "المكوّنيّة ليست مظهرا نحويّا مستقلا بذاته في البنيّة النّحويّة وإنّما هي التّراتبيّة الّتي بها تتركب الأبنيّة الرّمزيّة تدريجيا في عبارات مركّبة تذهب في اتّساعها درجة فدرجة، والبنيّة المركّبة الحادثة باندماج مكوّنين يمكن بدورها أن تكون مكوّنا في بنيّة مركّبة من درجة أعلى، وهكذا إلى ما لا ينتهي"[2]. فالمكوّنيّة ليست مظهرا تحويليا مستقلا، بل هي تراتبيّة تدريجيّة تتركب بها الأبنيّة الرّمزيّة وتتسع درجة درجة صعودا من البسيط إلى المعقد دون الحاجة لتحويلات صورية.

---

(1) – الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص130.

(2) – المرجع نفسه، ص132.

4.3.3- التّطبيق النّحوي على المركب الإضافي (فوق الطّاولة):

ينتقل الزّناد لشرح كيفيّة بناء المفهوم المركب دلاليا وصوتميّا عبر مثال المركب الإضافي الظّرفيّ (فوق الطّاولة) المبيّن في المخطط التّالي:

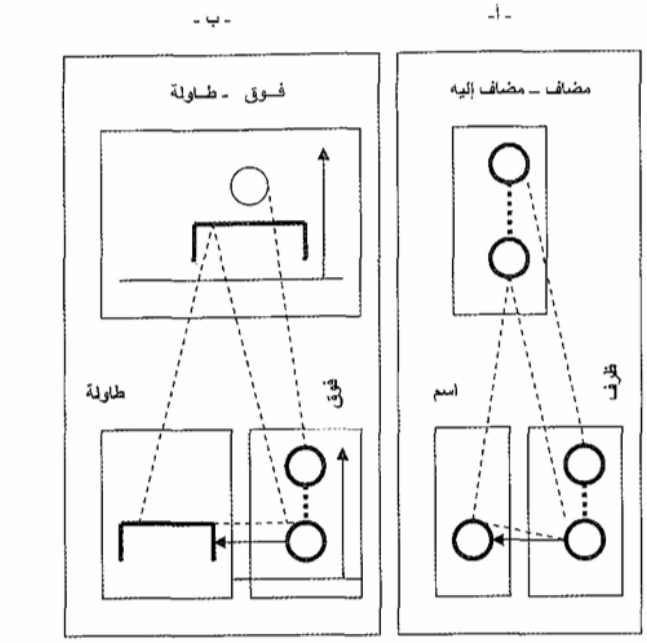

- ✓ كلمة (فوق): تعبر عن علاقة سكونيّة (مكانيّة) ثابتة مثل الاتجاه العلوي بين شيئين (المُنتقِل والمَعْلم).
- ✓ في خطاطة "فوق" يكون المُنتَقِل فضاءً اتجاهيًا بحاجة إلى تحديد، بينما المَعْلم غير معين بدقة.
- ✓ وكلمة (طاولة): تمثل شيئا واضحا ومحدّدا له صفات متعددة.

آليّة الدمج: يتم من خلال التّطابق بين الهيكل العام في (فوق) والمعنى التّفصيلي في(طاولة) والنّتيجة هي تركيبة جديدة تعبر عن علاقة مكانيّة ثابتة بين الشيء الرئيسي (المنتقل) والشيء المرجعي (المعلم).

وتكتمل العمليّة من خلال:

- ✓ تطابق داخلي (عمودي): بين أجزاء التركيبة الجديدة.
- ✓ تطابق خارجي (أفقي): يربط بين مكوّناتها المختلفة.

و يبيّن الزّناد من خلال هذا المخطط البياني مراحل التّركيب ومراحل تحققات الخطاطة، حيث تبدأ هذه المرحلة من خطاطة المركب الإضافي الّتي يجتمع بمقتضاها رأس مضاف ومتمّم مضاف إليه هو مركّب اسميّ (أ) وانتهاء بتحقق تلك الخطاطة في "فوق الطّاولة"(ب).

4.3- الخصائص الطّرازيّة و المكوّنيّة التراتبيّة:

يرى الزّناد أن "النّحو يتضمّن قوالب التّركيب الّتي تحدّد المظاهر الأساسيّة في تنظيم كلّ بنيّة مركّبة. وتتمثّل هذه القوالب في عدد من الخطاطات البنائيّة تقوم الواحدة منها على بنيّة داخليّة توازي البنيّة الدّاخليّة في جميع العبارات الّتي تحققها من حيث كانت نماذج لها"[1].

فالنّحو العرفنيّ يرى القواعد كـ "هندسة ذهنيّة مسبقة الصّنع"؛ فنحن لا نركب الكلمات عشوائيا، بل نسقطها داخل قوالب ومخطّطات نمطيّة مخزّنة في عقولنا تمنح الكلام نظامه وتناسقه.

ويوظف الزّناد ذلك على النّحو العربي الّذي يتضمن خطاطة لبناء المركب الإضافي كالتّالي:

- ✓ **القطب الصوتميّ**: يتحدد بالتّجاور الخطي للمكوّن المضاف والمكوّن المضاف إليه.
- ✓ **القطب الدّلالي**: يتحدد بالقيم الدّلاليّة بشكل خطاطي يتضمن قيم الوحدات المكوّنة مفردة وقيمة ما يتركّب منها.
- ✓ **وظيفة المكّون الأوّل**:

يذهب الزّناد إلى أنّ المكوّن الأوّل هو خطاطي لقسم الظروف، يتحدد فيه العلاقة السكونيّة الثّابتة (الفوقيّة أو التّحتيّة) والمنتقل والمعلم المترابطين بتلك العلاقة شيئين.

- ✓ **وظيفة المكوّن الثّاني**:

يبيّن الزّناد أنّ المكوّن الثاني هو خطاطة "شيء" بما لها من خصائص دلاليّة، ويكون تناسب بين المعلم في خطاطة المكوّن الوارد مضافا ومايعرضه الاسم المضاف إليه، ثمّ يحدث بعد ذلك تراكب بين خصائص هذين المتناسبين.

ويضيف الزّناد أن لكل خطاطة من هذه الخطاطات خصائص طرازيّة، أبرزها أن في كل ما فيها بنيتين مكوّنتين:[2]

- ✓ واحدة علائقيّة تعرض العلاقة.
- ✓ و أخرى اسميّة تحمل المحتوى المفهومي.

---

[1] – الازهر الزناد، المرجع السّابق، ص130.

[2] – المرجع نفسه، ص131.

5.3-الخطاطة النّحويّة:

1.5.3_ مفهوم الخطاطة:

الخطاطة النّحويّة هي نموذج يجمع بين نوعين من المعلومات، نوع العبارة ومضمونها، وهي تُشكّل قالبا تجري عليه العبارات المتنوعة المتشابة, فالزّناد يرى أنّ الخطاطات تقوم "على مظهرين: تناسب ضروريّ مطّرد بين خصائص الخطاطيّة هو ما يضمن للخطاطة موقعها الطّرازيّ فتكون نموذجا لجميع العبارات المختلفة نوعا ومضمونا، وقسم آخر من الخصائص المتنوّعة تجري بها البنية الخطاطيّة في العبارات المركّبة المتناهيّة"[1].هذا التمييز بين المظهرين يُتيح للخطاطة أن تكون مرنة بما يكفي لاستيعاب التّنوع اللّغوي دون أن تفقد طابعها التّنظيميّ.

2.5.3_شرط التّناسب في البنيّة المركّبة:

يرى الزّناد أنّه ليس شرطا أن يكون أحد طرفي البينيّة المركّبة متناسبا بالضرورة مع الآخر، بل يكفي أن تستوعب البنيّة التّحويلية جميع الأبنيّة وتدرّجها في نظام متسق. إذ يذهب الزّناد أنّ "المكوّنيّة ليست مظهرا نحويّا مستقلّا بذاته في البنيّة النّحويّة، وإنّما هي التّراتبيّة الّتي بها تتركّب الأبنيّة الرمزيّة تدريجيا في عبارات مركّبة تذهب في اتّساعها درجة فدرجة، والبنيّة المركّبة الحادثة باندماج مكوّنين يمكن بدورهما أن تكون مكوّنا في بنيّة مركّبة من درجة أعلى"[2] هذه الرّؤية التّراتبيّة للبنيّة تعكس الطابع التّدريجي للغة البشريّة، إذ لا توجد قفزات مفاجئة بل تراكم منظّم من البسيط إلى المعقد. ويكمل الزّناد بقوله: أنّ البنيّة المركّبة ترث خصائص المكوّنين. فالبنيّة المركّبة ذات الطرفين يبلور الواحد منهما الآخر إذ ينقسم الطرفان إلى:[3]

- ✓ مكوّن محدِّد (مستقبلّ مفهوميّا): يحمل الهويّة الأساسيّة للتركيب.
- ✓ مكوّن محدَّد (تابع مفهوميّا): يُضيف علاقة أو يُحدّد معنى.

ويذهب الزّناد استنادا لما جاء به لانغاكر أنّ "المكوّنيّة تكمن من إقامة تصوّر مرن للبنيّة النّحويّة يستوعب وجوه التّوليف المتنوّعة في النّحو"[4] فالعلاقات النّحويّة تفهم في الجملة مباشرة من خلال المعنى والإدراك العقلي، دون الحاجة لرسوم شجريّة وقوالب هندسيّة معقدة كما في التوليديّة، فالمكوّنيّة هي "تراتبيّة التّجميع في العبارات المركّبة"[5].

---

[1] – المرجع نفسه، ص132.

[2] – المرجع نفسه، ص ن.

[3] – الأزهر الزّناد، المرجع السّابق، ص132.

[4] – المرجع نفسه، ص ن.

[5] – المرجع نفسه، ص133/132.

وبناء على ماسبق، فإنّ دراسة الأبنيّة النّحويّة في النّحو العرفاني لاتنحصر في وصف أشكال تركيبيّة بل تمتدّ إلى تحليل آليات بناء المعنى وتنظيم التّجربة الإنسانيّة، وهو مايمنح هذا التّصوّر قدرة تفسيريّة أوسع في فهم العلاقة بين اللّغة والإدراك.

خامسا: أوجه التّشابه و الاختلاف بين النّحو التّوليديّ و النّحو العرفانيّ:

يُجسّد الانتقال من النّحو التّوليديّ التّحويليّ إلى النّحو العرفانيّ انعطافا لسانيا حاسما؛ تحوّل فيه البحث من صوريّة القواعد وعزلتها إلى مرونة الفكر وتجسّده. و رغم اشتراك الأنموذجين في تجاوز البنيويّة السّلوكيّة والنّظر إلى اللّغة كظاهرة ذهنيّة (أوجه التّشابه)، إلّاأنّ العرفانيّة أحدثت قطيعة معرفيّة بجعل اللّسان امتدادا للقدرات الإدراكيّة العامة و التّجربة الحيّة، بدلا من الملكة الفطريّة المعزولة (أوجه الاختلاف). ومن هذا المنطلق، نسعى من خلال هذا العنصر تفكيك أبعاد هذا المنعطف التأسيسي.

1- أوجه التّشابه (نقاط الالتقاء المعرفي):

رغم التّباين الجوهري، يلتقي الانموذجان في نقاط تأسيسيّة مهمة تميزهما عن اللّسانيّات البنيويّة التوزيعيّة:

- ✓ تجاوز المقاربة الوصفيّة السطحيّة إذ يشترك الانمذجان في رفض الوقوف عند مجرد وصف المدوّنة اللّغويّة الظّاهرة والسعي بدلا من ذلك نحو التّفسير وتحديد الخلفيّات المتحكمة في إنتاج اللّغة.
- ✓ يتفق الطرفان على أنّ اللّغة ظاهرة ذهنيّة بالأساس، و أنّ دراسة اللّسان هي دراسة للملكات الذّهنيّة البشريّة وليست مجرد سلوك اجتماعي خارجي.
- ✓ يعى كلا الاتجاهين إلى رصد الخصائص المشتركة بين اللّغات البشريّة وفهم آليّات اشتغال العقل الإنساني في إنتاجه للخطاب.

2- أوجه الاختلاف (نقاط التّباين): تتمثّل في مايلي:

1.2- المنطلق الفلسفي:

ينطلق النّحو التّوليديّ من العقلانيّة الفطريّة بروافدها الأفلاطونيّة والديكارتيّة وامتداداتها في مدرسة بور رويال، حيث تعدّ المعرفة اللّغويّة كامنة في الذّهن قبل التّجربة. في المقابل، يستند النّحو العرفاني إلى التجريبيّة الذّهنيّة الإدراكيّة الّتي تجعل من الإدراك والتّجربة الحسيّة والجسديّة أساسا لكلّ معرفة، بما في ذلك المعرفة اللّغويّة.

2.2- تصوّر اللّغة:

تنظر النّظريّة التّوليديّة إلى اللّغة بوصفها عضوا ذهنيا مستقلا، يخضع لنحو كليّ عام مركوز في الدّماغ ومخصوص بها دون سائر الملكات الأخرى. أمّا النّحو العرفانيّ فيرفض هذا الاستقلال، ويرى أنّ اللّغة امتداد للعرفان العام، فلا يوجد عضو ذهني خاص باللّغة، بل هي نشاط عرفاني كسائر الأنشطة الإدراكيّة البشريّة.

3.2- المنهج:

يعتمد النّحو التّوليديّ منهجا استنباطيا تفسيريا صورانيا، يقوم على حدس المتكلّم و النّمذجة الرياضيّة الدقيقة للقواعد. في حين يسلك النّحو العرفاني منهجا وصفيا قائما على الاستعمال، يرى أنّ المعرفة اللّغويّة ليست سوى تجريد مستخلص من الاستعمالات الفعليّة المتكرّرة في الواقع التّواصليّ.

4.2- الكفاءة والأداء:

تفصل النّظريّة التّوليديّة فصلا صارما بين الكفاءة والأداء، معتبرة الكفاءة معرفة ضمنيّة مثاليّة مستقلّة عن الاستعمال الفعلي. بينما يرفض النّحو العرفانيّ هذا الفصل جملة وتفصيلا، ويذهب إلى أنّ المعرفة هي الاستعمال ذاته، وأنّ مايعرفه المتكلّم هو ماتعوّد استعماله فحسب.

5.2- البنيّة اللّغويّة:

تقوم النّظريّة التّوليديّة على علاقة اشتقاق تحويليّ بين بنيّة عميقة تحمل التّفسير الدّلاليّ وبنيّة سطحيّة تمثل التّحقق الصّوتي المنطوق. أما النّحو العرفانيّ فيطرح بديلا عن هذا الثّنائي، يتمثّل في انبناء تصوّري واحد تنظّمه خطاطات ذهنيّة متدرّجة، دون حاجة إلى تحويلات صوريّة بين مستويين منفصلين.

6.2- النّحو و المعجم:

ينظر النّحو التّوليدي إلى النّحو و المعجم بوصفهما نظامين منفصلين، أحدهما قواعد تحويلية صوريّة والآخر قائمة مفردات مستقلّة. في حين يرى الحّو العرفانيّ أنّ اللّغة متصل رمزي واحد، تتدرج فيه الوحدات الرّمزيّ من البسيط إلى المركّب دون أي انفصال بين القاعدة و المفردة.

7.2- معيار الحكم:

يعتمد النّحو التّوليديّ على حدس المتكلّم بوصفه معيارا سابقا و مستقلا عن الاستعمال الفعلي للّغة، يحكم بموجبه على أصوليّة الجملة أو عدمها بصورة بديهيّة. أمّا النّحو العرفانيّ فيجعل الحكم نابعا من السّياق الإدراكي والثقافي للاستعمال الفعلي، بحيث يكون الحكم على العبارة متولّدا عن تجسدها الواقعي لا سابقا عليه.

3- مقارنة بين المفاهيم الأساسيّة:

جهاز النّحو التّوليدي	جهاز النّحو العرفاني	طبيعة التحول المفاهيمي والدلالي
الكفايّة اللّغويّة	القدرة المعرفيّة المجسّدة	من ملكة فطرية حاسوبية معزولة، إلى جزء من الإدراك العام المرتبط بالجسد والمحيط.
الأداءالكلامي	النّموذج القائم على الاستعمال	تحوّل من مجرد "تطبيق مش من مجرد "تطبيق مادي مشوب بالقصور"، إلى المنطلق الأساسي لاستقراء القواعد الحية.
البنيّة العميقة	الفضاءات الذّهنيّة	من بنية تركيبية مجردة تولد المعنى آلياً، إلى شبكات تصورية مرنة تبنى ديناميكياً أثناء الخطاب
التّحويل	التّصوير/ الصياغة المشهديّة	إلغاء الآلية الرياضية؛ وتفسير التغير التركيبي بوصفه تبدلاً في زاوية رؤية المشهد الذهني.
الجملة النّواة	المخطّطات الصورة-الذّهنيّة	من صيغ وتركيبات آلية مبسطة ومحفوظة في الذهن، إلى مخططات إدراكية ناتجة عن تفاعل أجسادنا وحواسنا مع الفضاء المحيط.
المتكلّم/المستمع المثالي	المستعمل الواقعي للّغة	من افتراض متكلم وهمي في مجتمع متجانس، إلى دراسة الإنسان الفعلي في سياقه الثقافي والاجتماعي.
النّحويّة المثلى	النّموذج الأولي/ النّمطيّة	من حكم ثنائي قاطع (صواب/خطأ)، إلى حكم نسبي يتدرج حسَب القرب والبعد عن النموذج الذهني.
قواعد إعادة الكتابة والتّركيب الصوري.	الوحدات الرّمزيّة	تحوّل النّحو من معادلات رياضية جافّة لا تهتم بالمعنى، إلى روابط ذهنيّة مباشرة تجمع بين الكلمة المنطوقة وفكرتها في الذّهن.

خاتمـــــــــة

خاتمـــــة:

خلصت هذه الدراسة الموسومة بـ "الإنعطاف اللساني من النّحو التوليدي إلى النّحو العرفاني"، إلى أن مسار اللسانيات الحديثة قد شهد تحوّلًا إبستمولوجيًا عميقًا، انتقل فيه الاهتمام من اللغة بوصفها نسقًا شكليًا مستقلًا، إلى اللغة باعتبارها نشاطًا معرفيًا مرتبطًا بالذهن والتجربة الإنسانية. وقد أتاح هذا التحول إعادة النظر في طبيعة الظاهرة اللغوية، وأسس تفسيرها، مما أسهم في ظهور مقاربات جديدة أكثر انفتاحًا على العلوم المعرفية والإنسانية .

ومن خلال تتبع المرتكزات النظرية للنحو التوليدي والنحو العرفاني وتحليل مفاهيمهما الأساسية، أمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

1_ شكّلت النظرية التوليدية التحويلية التي أسسها نعوم تشومسكي ثورة علمية في اللسانيات الحديثة، إذ نقلت البحث اللساني من الوصف الخارجي للغة إلى دراسة الملكة اللغوية الكامنة في الذهن الإنساني .

2_ اعتمد النحو التوليدي على التصور العقلي للغة، وعدّ الكفاءة اللغوية الفطرية أساسًا لتفسير قدرة الإنسان على إنتاج عدد غير محدود من الجمل انطلاقًا من قواعد محدودة .

3_ أسهمت اللسانيات التوليدية في تطوير الجهاز المفاهيمي اللساني من خلال مفاهيم محورية مثل: الكفاءة والأداء، والبنية العميقة والبنية السطحية، والتحويل، والتوليد .

4_ كشف البحث أن النحو التوليدي، رغم أهميته العلمية، قد ركّز على الجانب الشكلي والتركيبي للغة، مما جعل تفسيره للمعنى والسياق والتجربة الإنسانية محدودًا نسبيًا .

5_ ظهر النحو العرفاني بوصفه استجابة نقدية للمقاربات الشكلية، حيث أعاد ربط اللغة بالقدرات الإدراكية العامة للإنسان وبخبرته الجسدية والمعرفية في العالم .

6_ أكدت اللسانيات العرفانية أن المعنى يمثل جوهر الظاهرة اللغوية، وأن الأبنية النحوية ليست قوالب شكلية فارغة، بل وحدات رمزية تجمع بين الشكل والدلالة في آن واحد .

7_ أبرزت الدراسة الدور المركزي لمفاهيم التصور والفضاءات الذهنية والخطاطات المعرفية في تفسير كيفية بناء المعنى وفهم التراكيب اللغوية .

8_ تبين أن العلاقة بين اللغة والذهن في النحو العرفاني علاقة تكاملية، إذ تُعد اللغة انعكاسًا لآليات الإدراك والتصنيف والتجربة الإنسانية .

9_ كشفت المقارنة بين الاتجاهين أن كليهما يشترك في البحث عن تفسير القدرة اللغوية الإنسانية، إلا أنهما يختلفان في المنطلقات المعرفية؛ فالتوليدية ذات توجه عقلي صوري، بينما تتبنى العرفانية منظورًا تجريبيًا إدراكيًا .

10_ أثبتت الدراسة أن النحو العرفاني وسّع آفاق البحث اللساني من خلال ربطه بالعلوم المعرفية وعلم النفس الإدراكي، مما أتاح مقاربة أكثر شمولًا للظاهرة اللغوية .

خاتمـــــة:

11_ أظهرت اللغة العربية، بما تمتلكه من ثراء تركيبي ودلالي، قدرة كبيرة على استيعاب التطبيقات العرفانية، الأمر الذي يفتح آفاقًا واعدة أمام الدراسات اللسانية العربية المعاصرة .

12_ يؤكد الانعطاف من النحو التوليدي إلى النحو العرفاني أن تطور اللسانيات لم يكن قطيعة تامة بقدر ما كان انتقالًا من التركيز على البنية المجردة إلى الاهتمام بالمعنى والإدراك والتجربة الإنسانية بوصفها عناصر أساسية في فهم اللغة . وفي ضوء هذه النتائج، يمكن القول إن مستقبل البحث اللساني يتجه نحو مزيد من التكامل بين الدراسات اللغوية والعلوم المعرفية، بما يتيح بناء نماذج تفسيرية أكثر قدرة على استيعاب تعقيد الظاهرة اللغوية وارتباطها بالإنسان بوصفه كائنًا مدركًا ومتفاعلًا مع محيطه .

وانطلاقا لما توصّل إليه بحثنا نسعى إلى تعبيد الطريق من خلال فتح آفاق جديدة لدراسات لسانية عرفانية مستقبليّة والمتمثّلة في:

- ✓ دعوة الطلبة والباحثين إلى التوجه نحو دراسة اللسانيات العرفانية والعلوم المعرفية، لما تمثله من حقل معرفي واعد ما يزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتأصيل في الدرس اللساني العربي .
- ✓ تشجيع الدراسات التطبيقية التي تستثمر مفاهيم النحو العرفاني وآلياته في تحليل البنيات التركيبية والدلالية للغة العربية .
- ✓ العمل على توحيد المصطلحات العرفانية المترجمة وضبطها بما يسهم في بناء جهاز مفاهيمي عربي أكثر دقة واتساقًا .
- ✓ تعزيز الدراسات المقارنة بين النحو التوليدي والنحو العرفاني للكشف عن نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما .
- ✓ الانفتاح على التخصصات البينية، ولا سيما علوم الأعصاب وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي، بما يثري البحث اللساني ويعزز فهم العلاقة بين اللغة والذهن .
- ✓ الإفادة من نتائج اللسانيات العرفانية في تطوير تعليمية اللغة العربية والارتقاء بطرائق تدريسها وتحليل خطابها.

وخلاصة القول، إن هذا البحث لم يكن نهاية مطاف بل كان بداية مسار؛ ذلك أن عمق الإشكالية وتشعّب أبعادها يجعلان منها حقلاً لا ينضب، ومورداً لا يجفّ، ونأمل أن يكون ما قدّمناه إسهاماً متواضعاً في بناء صرح الدرس اللساني العربي الحديث.

قائمـــــــــة

المصادر و المراجع

قائمـــــة المصـــــادر والمراجـــــع

المصـــــــادر:

1- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1.

2- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1997م.

3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، المجلد11.

4- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ج1، 1991م.

5- ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج1، 2001م.

6- أحمد بن عمر الحازمي، فتح ربّ البرية في شرح نظم الأجرومية، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 2010م.

7- أحمد بن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ج3، ط2، 1986م.

8- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج1، 1979م.

9- الخليل بن أحمد الفراهدي، العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1،ج4، 2003م.

10- الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، دت.

11- الزمخشري، المفصل في علم اللغة، تح: فخر صالح قدارة، دار عمار، عمان-الأردن، ط1، 2004م.

12- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط3، ج1، 1988م.

13- عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تح:علي حيدر، منشورات دار الحكمة ، دمشق-سورية، دط، 1972 م.

14- المبرد، المقتضب، تح:محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة-مصر، ط1، ج1، 1994م.

المراجـــــــع:

1- ابراهيم انيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر، ط6، 1978م.

2- إبراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج 2، ط 2، 1972م.

3- إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن ط2، 2007م.

4- أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، ط2، 2005م.

5- الأزهر الزناد، النص والخطاب-مباحث لسانيّة عرفنيّة، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، ط1، 2011م.
6- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس، د ط.
7- أفلاطون، في الفضيلة (محاورة مينون)، سلسلة محاورات أفلاطون مترجمة من النص اليوناني، تر: عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتّوزيع، القاهرة، 2001م..
8- رولاند لانغاكر، مدخل في النّحو العرفنيّ، تر: الأزهر الزّناد، تونس، ط1، 2018م.
9- رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمد محمود الحصري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط2، 1968م.
10- شريف استيتة، المجال والوظيفة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005م.
11- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 2004م.
12- صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية-الذّهن واللّغة والواقع، دار وجوه للنشر والتّوزيع، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط1، 2019م.
13- صابر الحباشة، لسانيات الخطاب، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سورية، ط1، 2010م.
14- عباس حسن، النحو الوافي، مطابع دار المعارف، مصر، ط3، 1974م.
15- عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر)، مسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان-تونس، ط1، 2010م .
16- عبد الرحمان محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، د ط، د ت.
17- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، دط، دت.
18- عزمي موسى اسلام، مفهوم التفسير في العلم (من زاويّة منطقيّة)، حوليات كلية الآداب-الحولية الرّابعة، الرّسالة 16، جامعة الكويت، 1983م.
19- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفنية، وكيل كلية التربية جامعة السويس-مصر، رئيس قسم اللغة العربية، حقوق النشر للمؤلف.
20- فاضل السامرائي، معاني النحو، دار ابن كثير، بيروت–لبنان، ج1، ط2، 2020م.
21- مازن الوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية، واشنطن، 1980م.
22- مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان، ط1، 1995م.
23- مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 13، جانفي 2015م.
24- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي-مفاهيم و أمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2010م.
25- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، ط2، 1986م.

26- ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية-دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسيّة مع مقارنة تراثيّة، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، جانفي 1993م.
27- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2، 1986م.
28- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، د ط، 2003م.
29- نعوم تشومسكي، البنى النحوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق، ط1، 1987م.
30- نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1990م.
31- يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت، 1978م.
32- يوسف حسن عمر، شرح الرضي على الكافية، منشورات خان يونس، بنغازي-ليبيا، ط2، ج1، 1996م.

المجـــــــــــلات:

1- أسماء بن منصور، الأسس الابستمولوجية في الفكر اللغوي لدى تشومسكي، مجلة مقدمات، جامعة باتنة1- الجزائر، مج 03، ع01، ديسمبر 2020 م.
2- حيدر هادي خلخال، النظرية التوليدية والنحو العربي"مقارنة في التأثيل و النقد" مجلة حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة-الجزائر، مج 9، ع1، مارس 2021م.
3- خديجة مانع، الحضور الفلسفي في النظرية اللسانية لنعوم تشومسكي، مجلة مقاربات فلسفية، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم-الجزائر، مج11، ع 01، 2024م.
4- زينب بوطيش، نظرية الفضاءات الذهنية في ضوء اللّسانيات العرفانيّة، مجلة أفانين الخطاب، مج 02، عدد 01، جوان 2022م.
5- صلاح الدين يحي، نظرية النّحو العرفانيّ مستوى الثالوث من الأبنية ذات التكوّن الجيّد (الدلالة، التركيب، المعجم)، مجلة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، جامعة ملود معمري-تيزي وزو، مج04، عدد02، 2020م.
6- عبد الحكيم سحالية، أسس اللسانيات العرفانية-المنطلقات والاتجاهات المعاصرة، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، جامعة تيسمسيلت-الجزائر، المجلد 06، العدد02، ديسمبر 2022م.
7- كريمة بن خيرة وأحمد قريش، المنهج اللساني عند نعوم تشومسكي، مجلة جسور المعرفة، المجلد 8، عدد 2، جوان 2022م.

8- مني فاطيمة الزهراء وبن شيخة نصيرة، هندسة معاني الخطاب اللّساني من منظور التّصور العرفاني-البنية التّصورية والأفضية الذهنية أنموذجا، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، جامعة أحمد زبانة غليزان-الجزائر، مجلد11، عدد 002، 2022م.

9- بن صوف مجدي، الملكات الذّهنيّة ودورها في اكتساب اللّغة-مقاربة عرفانيّة، مجلة اللّسانيّات، مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة، الجزائر، المجلد 29، العدد 02، ديسمبر 2023م.

10- مها المطيري، الدلالة (تمثيل المعنى) في اللّسانيّات العرفانيّة منوال لانقاكر أنموذجا-دراسة لسانيّة تحليليّة، المجلة العربيّة للآداب والدّراسات الإنسانيّة، المؤسّسة العربيّة للتربيّة والعلوم والآداب، مصر، المجلد09، العدد36، جانفي 2025م.

11- نعيمة السعدية، الجملة في الدراسات اللسانية، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر-بسكرة، العدد 9، جوان 2011م.

12- معجم الدّوحة التّاريخي للغة العربيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السيّاسات، https://www.dohadictionary.org

ملخـــــص

ملخـــــــص:

يتناول هذا البحث التحوّل الذي عرفه الدرس اللساني المعاصر من النحو التوليدي إلى النحو العرفاني، بوصفه أحد أبرز التحولات المعرفية التي شهدتها اللسانيات الحديثة. ويسعى إلى الكشف عن الأسس النظرية والمعرفية التي يقوم عليها كل من النموذجين، وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما في مقاربة الظاهرة اللغوية وتفسير العلاقة بين اللغة والذهن.

وقد انطلق البحث من دراسة النحو التوليدي عند نعوم تشومسكي، متتبعًا أهم مرتكزاته النظرية ومفاهيمه الأساسية، وفي مقدمتها الكفاءة اللغوية والبنية العميقة والبنية السطحية والتحويل، مع بيان إسهامه في نقل البحث اللساني من الوصف الخارجي للغة إلى دراسة الملكة اللغوية الذهنية. كما تناول النحو العرفاني بوصفه اتجاهًا لسانيًا حديثًا يربط اللغة بالإدراك والتجربة الإنسانية، من خلال عرض أهم مفاهيمه، مثل الأبنية التصورية والاستعارة المفاهيمية والفضاءات الذهنية، وبيان دوره في إعادة الاعتبار للمعنى بوصفه محورًا أساسيًا في التحليل اللغوي.

وقد خلصت الدراسة إلى أن النحو التوليدي والنحو العرفاني، على الرغم من اختلاف منطلقاتهما النظرية، يشتركان في السعي إلى تفسير القدرة اللغوية الإنسانية، غير أن الأول يركز على البنية الصورية للغة، في حين يجعل الثاني من المعنى والإدراك والتجربة الإنسانية أساسًا لفهم الظاهرة اللغوية. كما أكدت الدراسة أهمية المقاربة العرفانية في توسيع آفاق البحث اللساني وربطه بالعلوم المعرفية المعاصرة، بما يفتح المجال أمام دراسات عربية جديدة تستثمر هذه الرؤية في تحليل اللغة العربية وتفسير ظواهرها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العرفانية، النحو العرفاني، النحو التوليدي، اللسانيات المعاصرة، الإدراك، المعنى، اللغة والذهن، الأبنية التصورية، الفضاءات الذهنية، نعوم تشومسكي.

Abstract:

This research examines the shift in contemporary linguistic studies from generative grammar to cognitive grammar, marking one of the most prominent cognitive shifts witnessed by modern linguistics. It seeks to uncover the theoretical and cognitive foundations underlying both models, highlighting their points of convergence and divergence in approaching linguistic phenomena and interpreting the relationship between language and the mind.

The study begins with an analysis of Noam Chomsky's generative grammar, tracing its key theoretical pillars and core concepts—most notably linguistic competence, deep structure, surface structure, and transformation—while outlining its contribution to shifting linguistic research from the external description of language to the study of the innate mental linguistic faculty. Furthermore, it addresses cognitive grammar as a modern linguistic approach that links language to cognition and human experience. This is achieved by presenting its key concepts, such as conceptual structures, conceptual metaphor, and mental spaces, and demonstrating its role in reinstating meaning as a central focus in linguistic analysis.

The study concludes that, despite their differing theoretical premises, both generative and cognitive grammar share the goal of explaining human linguistic capacity. However, while the former focuses on the formal structure of language, the latter grounds its understanding of linguistic phenomena in meaning, cognition, and human experience. The study also underscores the importance of the cognitive approach in broadening the horizons of linguistic research and integrating it with contemporary cognitive sciences, thereby paving the way for new Arabic studies that leverage this perspective to analyze the Arabic language and elucidate its phenomena.

Keywords: Cognitive Linguistics, Cognitive Grammar, Generative Grammar, Contemporary Linguistics, Cognition, Meaning, Language and the Mind, Conceptual Structures, Mental Spaces, Noam Chomsky.

فهـــرس الموضوعـــات

العنـــــــــــــــوان	الصفحة
الشكر والتقدير	
الاهداءات	
مقدّمة	
الفصل الأول:اللسانيات التوليدية التحويلية .	
أوّلا: النحو التوليدي (مفاهيم نظرية).	
4. الجملة	
5. الكلام	
6. الملفوظ	
ثانيا: مدخل إلى أصول النظرية التوليدية التحويلية.	
ثالثا: مظاهر التحولات في اللسانيات التوليدية.	
4. في الموضوع.	
5. المنهج.	
6. الجهاز المفاهيمي (المصطلح).	
رابعا: مرتكزات النّحو التّوليدي	
4. الروافد الفلسفية(الفلسفة العقلانية).	
4.1. أفلاطون.	
5.1. رونيه ديكارت.	
6.1. مدرسة بور روايال.	
5. الروافد العلمية (مفاهيم عامة).	
6. جذور النّظريّة التوليديّة التّحويلية في التراث العربي.	
خامسا:مراحل تطور النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.	
الفصـــــل الثـاني : اللسانيات العرفانية.	
أوّلا:مدخل مفهومي للعرفانيّة.	
5- علم النّفس العرفاني.	

6- اللّسانيات العرفانيّة ومبادئها.	
7- علاقة اللّسانيّات بالعلوم العرفانيّة.	
8- العرفانيّة مفهومها و مجال اشتغالها.	
ثانيا:مفارقات النّحو العرفاني و النّحو العام.	
4- المبادئ العامة للنّحو العرفانيّ.	
5- النّحو الذّهني.	
6- اللّغة و الذّهن.	
ثالثا: هندسة النّحو.	
3- النّحو ثالوث خوارزمي.	
4- التّصافح ودلالته.	
رابعا: التّحوّلات في المفاهيم النّحويّة.	
4- النّحو مفهوم تصوّري.	
5- النحو مفهوم عرفاني.	
6- الأبنية النحوية.	
خامسا: أوجه التشابه و الاختلاف بين النحو العرفاني و النحو التوليدي.	
خاتمـــــة	
المصادر والمراجع	
ملخـــص	